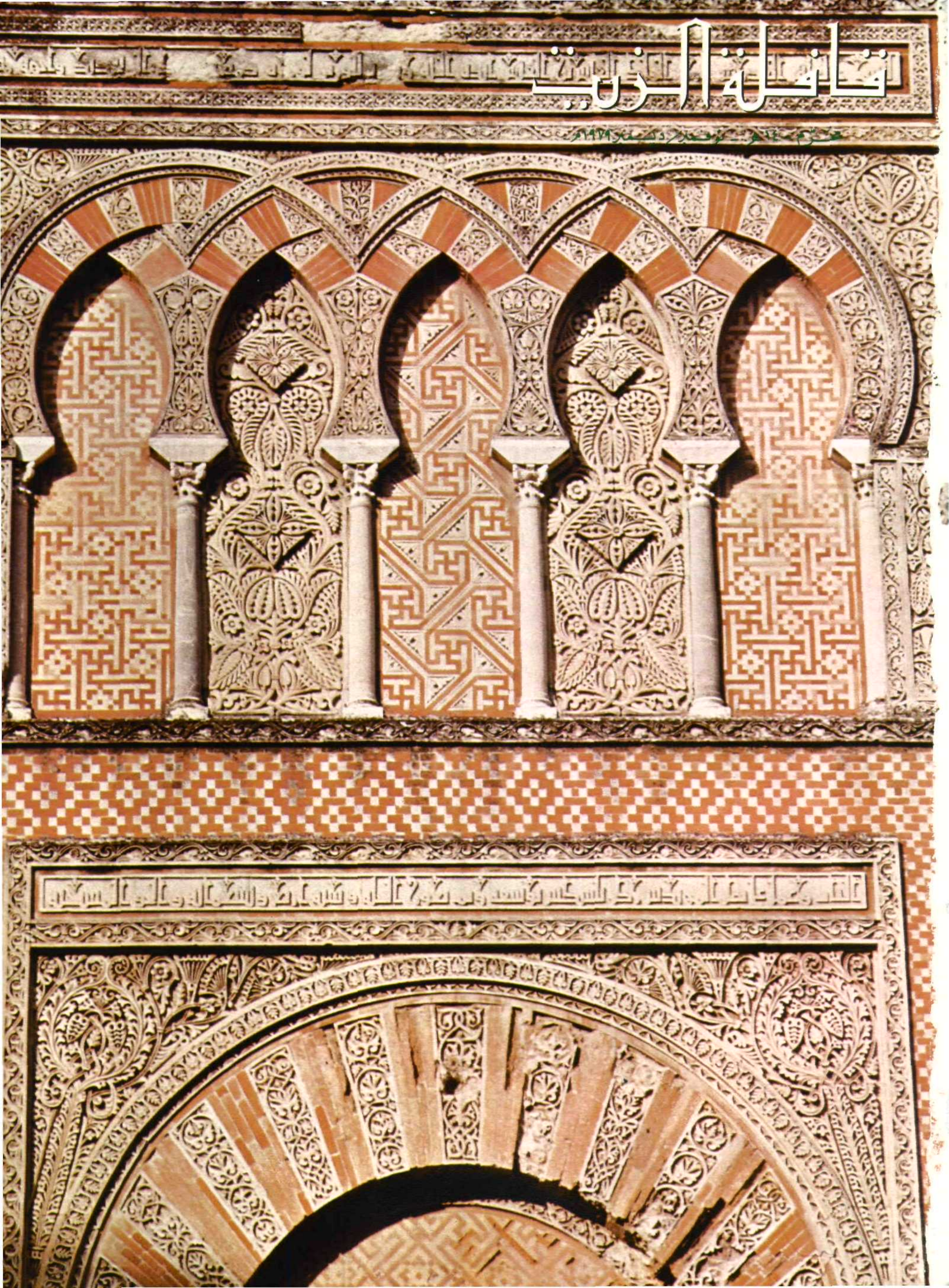
قافلة الزيت

محرم ١٤٠٠هـ - نوفمبر/ديسمبر ١٩٧٩م





راجع مقال : الجزيرة العربية عند قدامى الجغرافيين العرب

١٤٠٠هـ
١٩٨٠م

أرامكو

مع تحيات

قافلة الزيت

محرم

	نوفمبر				ديسمبر
السبت		٢٤ ٥	١ ١٢	٨ ١٩	١٥ ٢٦
الأحد		٢٥ ٦	٢ ١٣	٩ ٢٠	١٦ ٢٧
الاثنين		٢٦ ٧	٣ ١٤	١٠ ٢١	١٧ ٢٨
الثلاثاء	٢٠ ١	٢٧ ٨	٤ ١٥	١١ ٢٢	١٨ ٢٩
الاربعاء	٢١ ٢	٢٨ ٩	٥ ١٦	١٢ ٢٣	١٩ ٣٠
الخميس	٢٢ ٣	٢٩ ١٠	٦ ١٧	١٣ ٢٤	
الجمعة	٢٣ ٤	٣٠ ١١	٧ ١٨	١٤ ٢٥	

صفـــر

	ديسمبر				يناير
السبت		٢٢ ٣	٢٩ ١٠	٥ ١٧	١٢ ٢٤
الأحد		٢٣ ٤	٣٠ ١١	٦ ١٨	١٣ ٢٥
الاثنين		٢٤ ٥	٣١ ١٢	٧ ١٩	١٤ ٢٦
الثلاثاء		٢٥ ٦	١ ١٣	٨ ٢٠	١٥ ٢٧
الاربعاء		٢٦ ٧	٢ ١٤	٩ ٢١	١٦ ٢٨
الخميس	٢٠ ١	٢٧ ٨	٣ ١٥	١٠ ٢٢	١٧ ٢٩
الجمعة	٢١ ٢	٢٨ ٩	٤ ١٦	١١ ٢٣	١٨ ٣٠

ربيع الأول

	يناير				فبراير
السبت	١٩ ١	٢٦ ٨	٢ ١٥	٩ ٢٢	١٦ ٢٩
الأحد	٢٠ ٢	٢٧ ٩	٣ ١٦	١٠ ٢٣	
الاثنين	٢١ ٣	٢٨ ١٠	٤ ١٧	١١ ٢٤	
الثلاثاء	٢٢ ٤	٢٩ ١١	٥ ١٨	١٢ ٢٥	
الاربعاء	٢٣ ٥	٣٠ ١٢	٦ ١٩	١٣ ٢٦	
الخميس	٢٤ ٦	٣١ ١٣	٧ ٢٠	١٤ ٢٧	
الجمعة	٢٥ ٧	١ ١٤	٨ ٢١	١٥ ٢٨	

ربيع الثاني

	فبراير				مارس
السبت		٢٣ ٧	١ ١٤	٨ ٢١	١٥ ٢٨
الأحد	١٧ ١	٢٤ ٨	٢ ١٥	٩ ٢٢	١٦ ٢٩
الاثنين	١٨ ٢	٢٥ ٩	٣ ١٦	١٠ ٢٣	١٧ ٣٠
الثلاثاء	١٩ ٣	٢٦ ١٠	٤ ١٧	١١ ٢٤	
الاربعاء	٢٠ ٤	٢٧ ١١	٥ ١٨	١٢ ٢٥	
آلخميس	٢١ ٥	٢٨ ١٢	٦ ١٩	١٣ ٢٦	
الجمعة	٢٢ ٦	٢٩ ١٣	٧ ٢٠	١٤ ٢٧	

جمادى الأولى

	مارس				ابريل
السبت		٢٢ ٥	٢٩ ١٢	٥ ١٩	١٢ ٢٦
الأحد		٢٣ ٦	٣٠ ١٣	٦ ٢٠	١٣ ٢٧
الاثنين		٢٤ ٧	٣١ ١٤	٧ ٢١	١٤ ٢٨
الثلاثاء	١٨ ١	٢٥ ٨	١ ١٥	٨ ٢٢	١٥ ٢٩
الاربعاء	١٩ ٢	٢٦ ٩	٢ ١٦	٩ ٢٣	
الخميس	٢٠ ٣	٢٧ ١٠	٣ ١٧	١٠ ٢٤	
الجمعة	٢١ ٤	٢٨ ١١	٤ ١٨	١١ ٢٥	

جمادى الثانية

	ابريل				مايو
السبت		١٩ ٤	٢٦ ١١	٣ ١٨	١٠ ٢٥
الأحد		٢٠ ٥	٢٧ ١٢	٤ ١٩	١١ ٢٦
الاثنين		٢١ ٦	٢٨ ١٣	٥ ٢٠	١٢ ٢٧
الثلاثاء		٢٢ ٧	٢٩ ١٤	٦ ٢١	١٣ ٢٨
الاربعاء	١٦ ١	٢٣ ٨	٣٠ ١٥	٧ ٢٢	١٤ ٢٩
الخميس	١٧ ٢	٢٤ ٩	١ ١٦	٨ ٢٣	
الجمعة	١٨ ٣	٢٥ ١٠	٢ ١٧	٩ ٢٤	

رجب

	مايو				يونيه
السبت		١٧ ٣	٢٤ ١٠	٣١ ١٧	٧ ٢٤
الأحد		١٨ ٤	٢٥ ١١	١ ١٨	٨ ٢٥
الاثنين		١٩ ٥	٢٦ ١٢	٢ ١٩	٩ ٢٦
الثلاثاء		٢٠ ٦	٢٧ ١٣	٣ ٢٠	١٠ ٢٧
الاربعاء		٢١ ٧	٢٨ ١٤	٤ ٢١	١١ ٢٨
الخميس	١٥ ١	٢٢ ٨	٢٩ ١٥	٥ ٢٢	١٢ ٢٩
الجمعة	١٦ ٢	٢٣ ٩	٣٠ ١٦	٦ ٢٣	١٣ ٣٠

شعبان

	يونيه				يوليه
السبت	١٤ ١	٢١ ٨	٢٨ ١٥	٥ ٢٢	١٢ ٢٩
الأحد	١٥ ٢	٢٢ ٩	٢٩ ١٦	٦ ٢٣	
الاثنين	١٦ ٣	٢٣ ١٠	٣٠ ١٧	٧ ٢٤	
الثلاثاء	١٧ ٤	٢٤ ١١	١ ١٨	٨ ٢٥	
الاربعاء	١٨ ٥	٢٥ ١٢	٢ ١٩	٩ ٢٦	
الخميس	١٩ ٦	٢٦ ١٣	٣ ٢٠	١٠ ٢٧	
الجمعة	٢٠ ٧	٢٧ ١٤	٤ ٢١	١١ ٢٨	

رمضـــان

	يوليه				اغسطس
السبت		١٩ ٧	٢٦ ١٤	٢ ٢١	٩ ٢٨
الأحد	١٣ ١	٢٠ ٨	٢٧ ١٥	٣ ٢٢	١٠ ٢٩
الاثنين	١٤ ٢	٢١ ٩	٢٨ ١٦	٤ ٢٣	١١ ٣٠
الثلاثاء	١٥ ٣	٢٢ ١٠	٢٩ ١٧	٥ ٢٤	
الاربعاء	١٦ ٤	٢٣ ١١	٣٠ ١٨	٦ ٢٥	
الخميس	١٧ ٥	٢٤ ١٢	٣١ ١٩	٧ ٢٦	
الجمعة	١٨ ٦	٢٥ ١٣	١ ٢٠	٨ ٢٧	

شوال

	أغسطس				سبتمبر
السبت		١٦ ٥	٢٣ ١٢	٣٠ ١٩	٦ ٢٦
الأحد		١٧ ٦	٢٤ ١٣	٣١ ٢٠	٧ ٢٧
الاثنين		١٨ ٧	٢٥ ١٤	١ ٢١	٨ ٢٨
الثلاثاء	١٢ ١	١٩ ٨	٢٦ ١٥	٢ ٢٢	٩ ٢٩
الاربعاء	١٣ ٢	٢٠ ٩	٢٧ ١٦	٣ ٢٣	
الخميس	١٤ ٣	٢١ ١٠	٢٨ ١٧	٤ ٢٤	
الجمعة	١٥ ٤	٢٢ ١١	٢٩ ١٨	٥ ٢٥	

ذو القعدة

	سبتمبر				اكتوبر
السبت		١٣ ٤	٢٠ ١١	٢٧ ١٨	٤ ٢٥
الأحد		١٤ ٥	٢١ ١٢	٢٨ ١٩	٥ ٢٦
الاثنين		١٥ ٦	٢٢ ١٣	٢٩ ٢٠	٦ ٢٧
الثلاثاء		١٦ ٧	٢٣ ١٤	٣٠ ٢١	٧ ٢٨
الاربعاء	١٠ ١	١٧ ٨	٢٤ ١٥	١ ٢٢	٨ ٢٩
الخميس	١١ ٢	١٨ ٩	٢٥ ١٦	٢ ٢٣	٩ ٣٠
الجمعة	١٢ ٣	١٩ ١٠	٢٦ ١٧	٣ ٢٤	

ذو الحجة

	اكتوبر				نوفمبر
السبت		١١ ٢	١٨ ٩	٢٥ ١٦	١ / ٢٣ ٨ / ٣٠
الأحد		١٢ ٣	١٩ ١٠	٢٦ ١٧	٢ ٢٤
الاثنين		١٣ ٤	٢٠ ١١	٢٧ ١٨	٣ ٢٥
الثلاثاء		١٤ ٥	٢١ ١٢	٢٨ ١٩	٤ ٢٦
الاربعاء		١٥ ٦	٢٢ ١٣	٢٩ ٢٠	٥ ٢٧
الخميس		١٦ ٧	٢٣ ١٤	٣٠ ٢١	٦ ٢٨
الجمعة	١٠ ١	١٧ ٨	٢٤ ١٥	٣١ ٢٢	٧ ٢٩

بسم الله الرحمن الرحيم

قافلة الزيت

العدد الأول – المجلد الثامن والعشرون

تصدر شهرياً عن شركة ارامكو لموظفيها
ادارة العلاقات العامة

توزع مجاناً

العنوان

صندوق البريد رقم ١٣٨٩
الظهران – المملكة العربية السعودية

المدير العام: فيصل محمد البسام • المدير المسؤول: إسماعيل ابراهيم نواب • رئيس التحرير: عبدالله حسين الغامدي • المحرر المساعد: عوني ابو كشك



٥



٦



٢٤



٤٢

صورة الغلاف:
المحراب في جامع قرطبة وقد ازدان بالنقوش الجميلة

تصميم وطباعة شركة مطابع المطوع – الدمام
DESIGNED AND PRINTED BY AL MUTAWA PRESS CO., DAMMAM

من قصص الهجرة في القرآن



بقلم: الاستاذ احمد محمد جمال

يقول الله تبارك وتعالى — في سورة الانفال : **« واذ يمكر بك الذين كفروا ليثبتوك او يقتلوك ، او يخرجوك ، ويمكرون ويمكر الله ، والله خير الماكرين »** . ويقول عز وجل — في سورة النساء : **« ومن يهاجر في سبيل الله يجد في الأرض مراغما كثيرا وسعة ، ومن يخرج من بيته مهاجرا الى الله ورسوله ثم يدركه الموت فقد وقع اجره على الله ، وكان الله غفوراً رحيما »** . **« ان الذين توفاهم الملائكة ظالمي انفسهم .. قالوا فيم كنتم ؟ قالوا : كنا مستضعفين في الأرض ، قالوا: الم تكن ارض الله واسعة فتهاجروا فيها ، فأولئك مأواهم جهنم وساءت مصيراً »** . عندما بدأ الاسلام كدعوة الى الله الواحد الأحد ، كان من البدهي ان يستفز المشركين والوثنيين لجدال اتباعه ونضالهم ، وان يتصدى اهل الرياسات والزعامات والاختصاصات الروحية والمادية .. لمكافحة هذا الدين الجديد الرشيد ، دين التوحيد والأخوة والمساواة والعدالة ، دين الاتصال المباشر بالله الخالق الرازق الخافض الرافع ، المحيي المميت ، بلا حاجة الى شفاعة شافع ، او وساطة وسيط . وحينما ضاق المسلمون القلائل بايذاء المشركين والوثنيين صبراً ، اذن لهم نبي الاسلام عليه الصلاة والسلام ، بالهجرة الى الحبشة ، فاتخذوها مهجراً ، في فترتين متقاربتين فارين اليها بدينهم الجديد الرشيد ، راجين أن يمكنه الله لهم ، وان يثبتهم عليه ، وقد لقاهم الله عطف نجاشي الحبشة (اصحمة) وترحيبه ، وتوسعته عليهم في بلاده . وانتظر النبي في مكة بعدهم ، ولم يهاجر معهم ، انتظر صابراً على ايذاء الجاحدين الحاسدين أجمل صبر ، مدافعاً عن رسالته الفضلى ودينه الأمثل أصدق دفاع ، مرتقباً وعد الله الذي لا يخلف وعده ، بالهجرة الى المدينة التي نورها عليه الصلاة والسلام حين قدمها بأنواره ، واتخذ من أهلها بعض انصاره .. واقترب الوعد الحق بهجرة النبي، صلى الله عليه وسلم، الى المدينة ، وعرف المشركون عزمه عليها وبدأت مجتمعاتهم تهمس ، وجعل الشيطان يوسوس لهم الا يدعوا محمداً يهاجر ، والا يمنعوه من الهجرة ، يكن حرباً عواناً عليهم ، بما يؤلب من اعدائهم عليهم ثم يقودهم اليهم .

واختلفت الآراء المهموسة في مجتمع المشركين بدار الندوة ، بين مقترح يرى ان يسجن النبي عليه الصلاة والسلام،في حجرة ضيقة لا نافذة لها ولا باب — ومقترح ثان يرى ان يحمل على جمل وينفى من مكة — ومقترح ثالث يرى ان يختار فتيان أشداء من قبائل شتى ، ليضربوه ضربة رجل واحد ، فيتعذر على بني هاشم المطالبة بدمه من هؤلاء جميعاً ، ويرضوا بديته

مكرهين . وصدّق ابليس الرجيم ، الذي كان يشترك في هذه المؤامرة الكبرى التي تآمر بها المشركون على اغتيال أكرم حياة لأعظم حي — صدق ابليس اللعين عليهم ظنه ، فاتبعوه على تأييده للمقترح الأخير .

انفض مؤتمر دار الندوة ، على تحقيق اغتيال النبي ، صلى الله عليه وسلم ، وتراص الفتيان الاشداء عند باب داره ليله سفره الى المدينة ، مشهورة سيوفهم ، مفتحة اعينهم وسعها على مخرج النبي ، حتى اذا اراد الله لنبيه النجاة والعافية ، اوحى اليه ان يتخذ من ابن عمه علي « كرم الله وجهه » ضجيعاً يرقد في فراشه عليه الصلاة والسلام ، ويلتحف بردته ، ويخرج النبي ، صلى الله عليه وسلم ، حاثياً التراب على رؤوسهم ، تالياً على وجوههم : « **انا جعلنا في اعناقهم اغلالا فهي الى الاذقان فهم مقمحون ، وجعلنا من بين ايديهم سداً ومن خلفهم سداً ، فأغشيناهم فهم لا يبصرون** » كذلك اتم الله نعمته على نبيه ، بهجرته الى المدينة مع الصديق ابي بكر على النحو المفصل في كتب التاريخ النبوي الشريف . وكذلك باء المشركون بالخيبة المرة ، فلم ينالوا وطراً . وكذلك قدر للمدينة ان تحظى بشرف جهاد النبي وأصحابه فيها ، ونشرهم نور الاسلام منها الى العالمين . وسجل القرآن بداية الهجرة النبوية في قول الله تعالى : « **واذ يمكر بك الذين كفروا ليثبتوك ، او يقتلوك ، أو يخرجوك ، ويمكرون ويمكر الله ، والله خير الماكرين** » .

وهذه قصة من قصص الهجرة في القرآن الكريم : كان جندب بن ضمره ، احد مسلمي مكة ، الذين لم يغادروها مع المهاجرين الى المدينة ، وقد انتظر حتى سمع بآية نزلت من القرآن الكريم ، وأوعدت أشدّ ايعاد من أخلد الى مكة ، وهو قادر على الهجرة مع المسلمين الى المدينة . . . سمع بهذه الآية : « **ان الذين توفاهم الملائكة ظالمي انفسهم ، قالوا فيم كنتم ؟ قالوا كنا مستضعفين في الأرض قالوا ألم تكن ارض الله واسعة فتهاجروا فيها ؟ فأولئك مأواهم جهنم وساءت مصيراً** » . وعلم جندب من هذه الآية الموعدة ، مصير أولئك المسلمين الذين اكرهوا على القتال في صفوف المشركين يوم بدر ، برغم استضعاف المشركين اياهم ، وغلبهم عليهم وقهرهم لهم . . . عندئذ ضاق صدر جندب بالبقاء في مكة ، ونظر في نفسه وبين يديه ، فالفى نفسه موسراً ، وان كان شيخاً كبيراً ، فقال لأهله : احملوني على سرير الى رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، والله ما أنا ببائت ليلتي هذه بمكة ! ! .

وصدقت عزيمة جندب ، فلم يبت ليلته بمكة . ولكنه لم يبت ايضاً أية ليلة بالمدينة . فقد كان الموت السعيد له بالمرصاد ينتظره في الطريق الى الرسول ، عليه الصلاة والسلام ، قريباً من مكة ، في موقع يقال له حتى اليوم « التنعيم » .

وكان وهو يحتضر ، يصفق بيمينه على شماله ، ويقول : اللهم هذه لك ، وهذه لرسولك ، أبايعك على ما بايعك عليه رسولك . . .

مات جندب قبل ان يدرك أربه ، ودون ان يبلغ رغبه ، وليس غريباً ان يكون ذلك مثار سخرية عليه من قومه الهازئين ، الذين قالوا عندما بلغهم نبؤه : « ويح جندب لا هو بلغ الذي يريد ، ولا هو أقام في أهله ، فمات بينهم فجهزوه ودفنوه ! ! » .

وجهل هؤلاء الهازئون ان الاعمال — في ميزان الله — بالنيات ، وان كان الله سبحانه لا يرضاها دائماً من عباده ما لم تحل دون الاعمال حوائل لا تطاق ، وهكذا شاء الله لجندب السعادة والكرامة ، فقبل هجرته وان لم تتم ، وعلم نيته فأكرم ميتته ، وانزل سبحانه من قرآنه العظيم ما يغيظ الهازئين من جندب : « **ومن يهاجر في سبيل الله يجد في الأرض مراغما كثيرا وسعة ، ومن يخرج من بيته مهاجرا الى الله ورسوله ، ثم يدركه الموت فقد وقع اجره على الله ، وكان الله غفوراً رحيما** » .

أجل ، إن في الأرض متحولاً للكرام عن أذى اللئام ، وفيها متزحزح للصالحين الأبرار عن قذى الفجرة الاشرار ، وفيها ايضاً سعة للفرار من الضلالة الى الرشد ، ومندوحة من الرهبة الى الأمن ، ومن الذلة الى العزة ، ومن القلة الى الغنى .

ولقد حرم اولئك المؤمنون القلائل الذين رضوا بالمقام في دار الكفرة ، ولم يلحقوا باخوانهم في دار الهجرة ، من نعمة المناصرة والمساعفة التي تجب للمؤمن على المؤمن بل حرموا ايضاً من كرامة المؤاخاة والموارثة التي سنها القرآن بادي الرأي — ثم نسخها — بين المهاجر والانصاري ، ومن حق الأرث بين المؤمن المهاجر والمؤمن المتخلف — بل حرموا كذلك من نصر اخوانهم المؤمنين المهاجرين في حربهم مع أعدائهم ، ولو كانت الحرب دينية ، اذا كان بين هؤلاء الأعداء واولئك الأخوان المهاجرين ميثاق بالسلام .

يقول الله سبحانه وتعالى : « **والذين آمنوا ولم يهاجروا ما لكم من ولايتهم من شيء حتى يهاجروا وان استنصروكم**

في الدين فعليكم النصر الأعلى قوم بينكم وبينهم ميثاق ، والله بما تعملون بصير » .

لقد كان فضل الهجرة على الاسلام عظيماً .. وهو فضلها المشهود على كل دعوة داع الى الحق ، وكل نهضة ناهض الى الخير ، وكل حامل للنور ، في هذا العالم – قديمه وحديثه – المليء بالباطل والشر ، وبشياطين الإنس والجن المفسدين في الأرض .

وتلك هي سبيل النبيين قبل محمد، عليه الصلاة والسلام، فقد هاجر ابراهيم من العراق الى فلسطين ثم مصر ثم مكة ، وهاجر موسى من مصر الى مدين ، وهاجر عيسى من قريته الناصرة الى انحاء فلسطين ، وهاجر يوسف من فلسطين الى مصر .. وقد كانت هجراتهم مفاتيح بركة ونصر ونجاح .

وصدق الله العظيم اذ يقول : **« ومن يهاجر في سبيل الله يجد في الأرض مراغما كثيرا وسعة » .**
واذ يعد المهاجرين وعداً حسناً : **« والذين هاجروا في الله من بعد ما ظلموا لنبوئنهم في الدنيا حسنة ، ولأجر الآخرة أكبر لو كانوا يعلمون . »**

ثم ماذا بعد هذا ؟

هل اتحدث عن التاريخ بالهجرة متى بدأ ، وكيف اختير ؟ ام هل اتحدث عن صاحب الفكرة ، ولماذا فضل التأريخ بالهجرة على التأريخ بالبعثة او الوفاة ؟

ام أضرب الذكر صفحاً عن ذلك ، والجأ الى بيان فضل الهجرة على الاسلام سواء كانت الهجرة الاولى والثانية الى الحبشة ، ام الهجرة الثالثة الى المدينة ، وهي الهجرة العظمى التي كانت انقلاباً عظيماً في تاريخ الدعوة الاسلامية أبدلت ضعف المسلمين قوة ، وقلتهم كثرة وخوفهم أمناً، وفرقتهم جمعاً، ومكنتهم من مضاعفة الجهود والتضحيات ، واعداد الفتوح والغزوات لنشر الحق والخير والنور ؟

ام اصف كيف هاجر النبي، صلى الله عليه وسلم ، الى المدينة من مكة بعد ما لقيه واصحابه من اذى المشركين في مكة وقذاهم ؟ ثم كيف استقبل الانصار هذا الدين ورسوله واتباعه استقبال التمجيد والتأييد ، حتى لقد رضوا بأن يؤاخوا المهاجرين ويوارثوهم ويقاسموهم الى حين – المعائش والمنازل والأزواج ؟ .

لا فكلكم يعلم ذلك ، وكلكم يقرأ دائماً ما تفيض به مجلات العالم الاسلامي وصحفه ، بهذه المناسبة التاريخية من ترديد أوصاف الهجرة النبوية الكريمة ، وسرد مقدماتها واعقابها .

يكفينا ذلك اذن عن الاعادة والترديد ، وعن التمديح والتمجيد ، فان النبي ، صلى الله عليه وسلم ، وبعثته وهجرته ، ورسالته العظمى التي بلغها للعالم اجمع – في غناء عن الاطراء والثناء ، وقد عرفها حق عرفانها ، وقدرها حق قدرها عقلاء الأديان الأخرى ، على مر القرون .

ولكنا نحن ، مسلمة اليوم ، لسنا في غناء من تذكر الهجرة وتدبرها ، والاتعاظ بذكرياتها وتجاربها الحلوة والمرة ، والاستنارة باضوائها ، والتحليق في اجوائها .. لعلنا نرتفع عن حضيض ، ونخرج من ظلمة ، ونجتمع بعد فراق ! ! . لقد هاجرنا ، نحن مسلمة اليوم، وما زلنا نهاجر .. هجرة ذات لون آخر ، غير ذلك اللون المشرق المبين البهيج ، الذي اتسمت به هجرة الاولين – انه لون اسود يضلل الطريق ، ويضيع الرفيق ...

هاجرنا – ونحن في اوطاننا – من تعاليم الاسلام وآدابه ، الى تقاليد الحضارة الغربية ، تقاليدها التي سنها اهلها للهو واللغو والمجون ، وليست تقاليدها التي امسكوا بها لتطوير العلوم والفنون واكتشاف الجديد المفيد من الأعمال والسلوك .

فكل حياتنا اليوم « مظاهر » ذات زخارف ومتع وزينات ، استنفدت حظ « مخابرنا » من الشعور الطاهر والفكر النائر ، وأبدلتها بهما شعوراً ضعيفاً ، وفكراً سخيفاً ، لا حول لهما ولا طول ... لانكار المنكر واقرار المعروف ، والدعوة الى الخير ..

أما المعروف فاعني به « الدين الاسلامي » كفيض الهي لتنظيم مرافق الحياة ومنافعها الحياة الشريفة النظيفة .. البصيرة القديرة .

واما المنكر فهو ما نحن مهاجرون اليه ، منذ قرون عديدة من ركون الى المتع والملذات والاخلاد الى الدعة والسلامة وحرص على جمع المال من اية سبيل ، والتباهي بالقصور المشيدة والمزارع المديدة والنزه والرحلات والاكتفاء بالمآكل والمشارب والمسامر ، لا نريد ان نبذل مالاً ولا نريق دماً ، ولا ننفق جهداً لاحقاق حق او ازهاق باطل ، او زجر ظالم ، أو إغاثة مظلوم .

هذه هي حياتنا – الفردية نحن مسلمة اليوم في أكثر اقطارنا – وهي هي حياتنا الجماعية كدول وشعوب ولذلك حقرتنا الامم القوية ، وتقاسمتنا الدول الكبيرة ، واصبحت مصائرنا في ايديهم ، وثراواتنا في خزائنهم ، وقضايانا تحل بقوانينهم .. ونحن – فوق ذلك – فيما بيننا مختلفون متشاكسون ●

احمد محمد جمال – مكة المكرمة



لا تنبت الحسنى سوى الحسنى

للشاعر : الياس قنصل

احسانُ ظنّك بالانـام فضيلةٌ
حسناتُها تدنيك من ربّ السما

ان كنتَ تشكو من اساءةِ صاحب
ما كان يقصدُ منك أن تتألما

فلكَم أسأتَ اليه أنت ولَمْ يلم
وأبت نبالة ودّه أن تعلما

والناسُ فيهم ألف ألف حمامة
ان كنتَ بينهم تعاينُ ارقما

ولقد يكون الماءُ سيلا جارفا
تعني نتائجُه الدمار مجسّما

ويكون ينبوعاً يجودُ برفده
فيطيبُ انعاشاً ويخصُب موسما

واذا دخلت الروض فاترُك شوكَه
وانشقْ عبيرَ زهوره كيْ تنعَما

وأصِخْ الى تغريدِ بلبله ، ولا
تنظر الى حشراته متبرّما

واذا فرضتَ على سواك عداوة
تبريرها سبب ترجّح مبهما

الزمته أن يتقيكَ بمثلها
فغدا بلا داع عدوّك مرغما

ان كنتَ ترثي للبريء يئنّ من
جرْح عراه حين واجه مجرما

أو ما ترَى بالقربِ منه معزّيا
وحياله آس يعدّ المرهما ؟

وهب الأنام كما ظننتَ فكن لهم
عرساً يطيل سرورَهم لا مأتما

والشكّ مثل الذئبِ اذ آويتَه
ان جاعَ من أنيابه لنْ تسلما

ولقد يعودُ عن القساوة غاضِب
قابلته متلطفاً متبسّما

كم قاتِل إن تلقَه بتعطف
القى اليكَ سلاحَه مستسلما

هيهات يندمُ راحم متهلّل
ولكم تندّم من قسا وتجهّما

ومتى جبهت الحانقين برأفَة
فجفاؤهم لا بدّ ان يتصرّما

لا تنبتُ الحسنى سوى الحسنى ولا
تهب الظّنون سِوى التشاؤم مغنَما

ان كنتَ تعتبرُ الأنامَ أبالِسا
أمسَتْ حياتُك بالشقاءِ جهنّما



احد المداخل التي تفضي الى مسجد قرطبة .

البرتغال

اسبانيا

مدريد

قرطبة

مسجد قرطبة

بقلم : الاستاذ حسن كمال

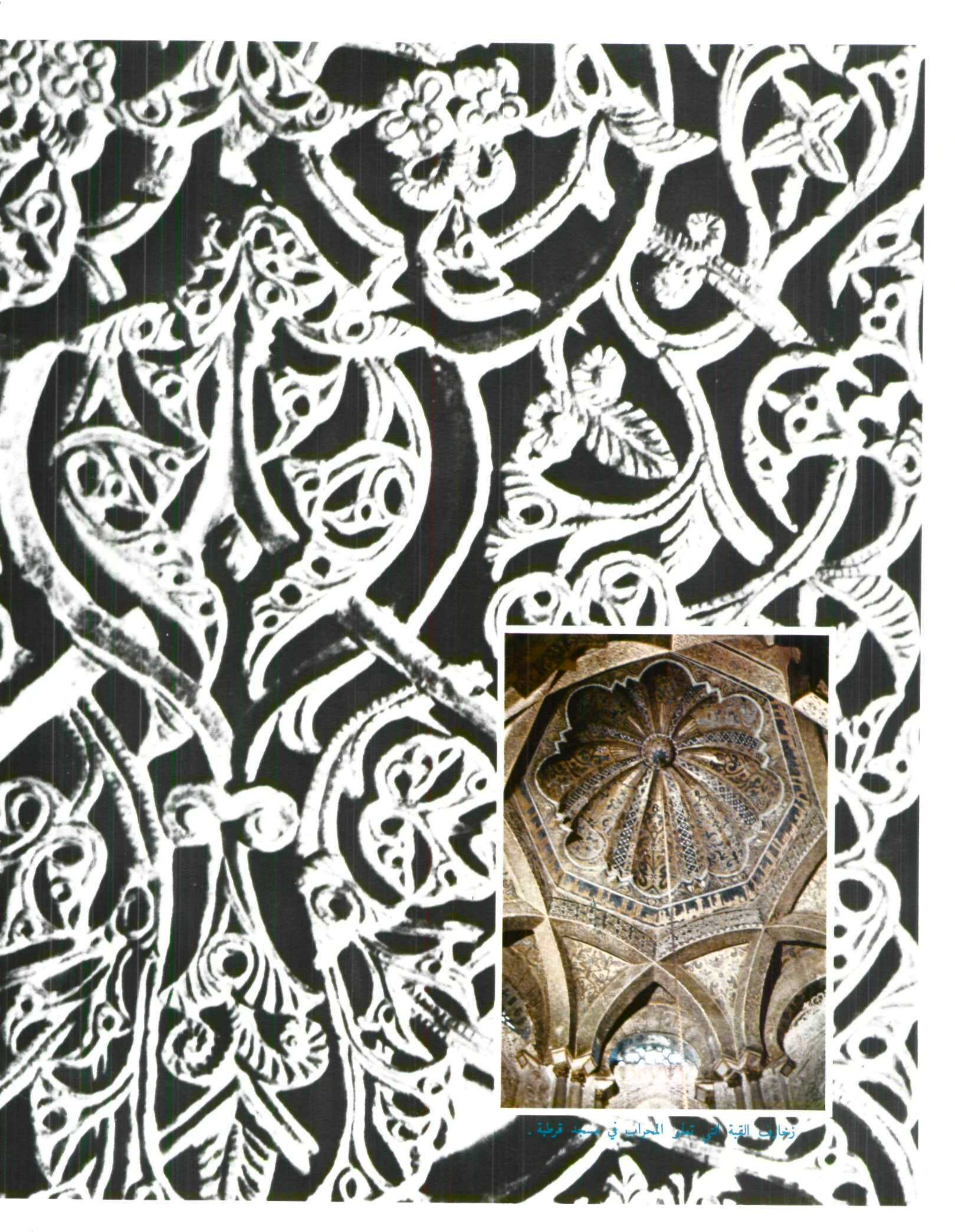
تحتفل المنظمات الثقافية العربية خاصة والدولية عامة ، هذا العام بانتهاء القرن الرابع عشر الهجري وحلول القرن الذي يليه . وتبذل تلك المنظمات جهوداً طيبة للتعريف بالحضارة الاسلامية في العالم ، وما كان لتلك الحضارة من أهمية ، منوهة بالدور الهام الذي لعبته في ترسيخ دعائم العلم والعمل على سيادة العدالة واحترام الفرد أياً كان وأينما كان ما دام نافعاً للناس محباً للخير ساعياً وراء اغناء البشرية بالعمل الجيد والبناء الخير . وقد اغتنمت هذه الفرصة لأتحدث فيها عن « مسجد قرطبة » ، أحد المساجد الاسلامية الذي تمثلت فيه قمة ازدهار الفن المعماري الذي حققه الخلفاء الأمويون ومن تلاهم من أمراء المسلمين في اسبانيا حيث أرسى هؤلاء جميعاً صروح حضارة رفيعة لم تكن لتجاريها أية حضارة أخرى آنذاك ، فازدهرت كل مدن الأندلس بالعمران والعلم الذي كان له أكبر الأثر على أوربا كلها والتي أفادت منه جل الفائدة ، وكان نقطة انطلاق علومها وتقدمها في مختلف الميادين خلال القرون التي تلت العصر الذهبي الاسلامي في اوربا

ومسجد قرطبة يعتبر من أعظم الآثار المعمارية التي خلفها العصر الاسلامي في الأندلس ، ويمتد تاريخه من القرن الثاني حتى القرن الخامس الهجريين ، أي من القرن الثامن حتى القرن الحادي عشر الميلاديين ، ويحمل بناؤه في كافة أجزائه كل معاني الأبهة التي تجلت في أسلوب العمارة الدينية الاسلامية .

وقد تميز المسجد في عهد عبد الرحمن باشتماله على تسعة أروقة أو كما يسمونها في المغرب تسع بلاطات موازية لجدار القبلة وأن أوسطها كان أكثرها اتساعاً وارتفاعاً ، وتتألف الأروقة من صفوف متوازية من الأعمدة الرخامية المنتهية بأقواس على شكل حدوة الفرس وظيفتها ربط الأعمدة فيما



اروقة مسجد قرطبة بأعمدتها الرخامية .



زخارف القبة التي تعلو المحراب في مسجد قرطبة.



بينها ، وتقوم تلك الأقواس على أعمدة رخامية تعلوها تيجان قديمة ، وتعلو الأقواس المذكورة صفوف أخرى من الأقواس النصف الدائرية قائمة على دعائم مربعة ووظيفتها حمل الأسقف ، وتستند جدران الجامع على ركائز قوية تضفي على المسجد من الخارج مظهر القلاع .

ويـرى المهتمون بشؤون العمـارة الاسلامية في الأندلس أن فناء المساجد كان مفروشاً بالأشجار وخاصة أشجار البرتقال . ومسجد قرطبة كان واحداً منها . والمتأمل في عناصر بناء جامع قرطبة في مرحلته الأولى يراها تشف عن اصالة وابتكار ، ويبدو هذا بوضوح في ايجاد النظام المزدوج للأقواس وتناوب قطع الآجر الأحمر والحجارة ذات اللون الأصفر . وقد اقتضت طبيعة البناء تجهيز المسجد بمئذنة تتناسب معه ، وقد تم ذلك على يد الأمير هشام حوالي ١٦٨–١٧٦ هـ (٧٨٨–٧٩٦ م) .

وقد أدى ازدهار مدينة قرطبة الى ازدياد عدد سكانها وبالتالي الى ازدياد عدد المصلين في المساجد وخاصة قرطبة ، الأمر الذي جعل المسجد يضيق بكثرة المصلين ، وهذا ما دعا الأمير عبد الرحمن الثانـي (٢٠٥ – ٢٣٥هـ) (٨٢٢–٨٥٢م) ، الى ان يزيد في المسجد زيادتين أساسيتين كانت الأولى عام ٢١٦ هـ (٨٣٤ م) وذلك باضافة رواقين جانبيين الى الأروقة التسعة السابقة ، وكانت الزيادة الثانية عام ٢٣٢ هـ (٨٤٨ م) والتي أدت الى زيادة جميع أروقة المسجد طولاً نحو القبلة الى عمق ٢٦ متراً . وكانت نية عبدالرحمن الثاني تتجه نحو القيام بزخارف ونقوش كثيرة في المسجد غير أن الموت عاجله قبل أن يتم ما كان يريد عمله ، لكن ابنه محمد قام باتمام الزخرفة التي أرادها أبوه وكان ذلك عام ٢٤١ هـ (٨٥٦ م) . وقد وجد على أحد أبواب المسجد وهو المسمى بباب الوزراء ، نقش تاريخي هذا نصه :

بسم الله الرحمن ، أمر الأمير – أكرمه الله – محمد بن عبد الرحمن ببنيان ما حكم به من هذا المسجد واتقانه ، وجاء ثواب الله عليه وذخره به ، فتم بذلك سنة احدى وأربعين ومائتين على بركة الله وعونه . .

لم يعرف مسجد قرطبة التوقف عن الاتساع عاماً بعد عام بسبب ازدياد كثافة السكان في قرطبة ، واهتمام الأمراء المسلمين بالمنشآت الدينية . وفي عام ٢٥٠ هـ (٨٦٥ م) أضيفت الى المسجد مقصورة ، وقام الأمير المنذر بن محمد ببناء بيت المال . أما أخوه عبدالله فقد قام بانشاء ممر بين القصر والجامع سماه « الساباط » وذلك ليتمكن من الخروج من قصره الى المسجد دون أن يراه أحد .

وفي منتصف القرن الهجري الثالث ، باشر الأمير عبد الرحمن الثالث في بناء مئذنته الكبرى والتي بلغ ارتفاعهـا اثنتين وسبعين ذراعاً ، والتي اتسمت بالقوة والجمال وسمو الانسجام مع كافة البنـاء الذي أنشئت من أجله . وازدانت قمتها بثلاث كرات ، كانت اثنتان منها من الذهب الخالص ، وقد أنفق عبد الرحمن الثالث على اشادة تلك المئذنة حوالي مائة وستة وستين الفاً وخمسمائة وسبعة وثلاثين ديناراً ذهبياً ودرهمين ونصف الدرهم .

وعندما اعتلى الحكم الثاني سدة الحكم بعد والده عبد الرحمن الثالث ، صب اهتمامه على توسيع المسجد فزاد أقواسه اثنتي عشر قوساً نحو الجنوب ، وأقام في مدخل الرواق الأوسط من هذه الزيادة قبة كبرى استهدف من ورائها ادخال الضوء الى قاعة الصلاة ، وبذلك فقد ساهمت هذه الزيادة في تناسق أقسام المسجد وتعادلها ، وقام ببناء المحراب الثالث الذي يعتبر من أجمل محاريب العالم الاسلامي وأشهرها ، وكان يتقدمه ثلاث قباب، وكانت جدران المحراب مغشاة



بالذهب بينما فرشت أرضه بالفضة .
أما الموازيك الذي كان يستّر جانباً من المحراب فقد كانت بعض مكعباته من الذهب ، وكذلك ازدانت الأعمدة التي تحدد المحراب بالذهب والأحجار الكريمة وعلت واجهة المحراب كتابات عربية غاية في الأناقة والرشاقة ، وقد غشي قسم كبير منها بالذهب .

هــذا وقد بنى الحكم الثاني منبراً مؤلفاً من ستة وثلاثين ألف قطعة ربط بينها بمسامير من الفضة والذهب ، وبلغت كلفة هــذا المنبر في مسجد قرطبة حوالي خمسة وثلاثين الفاً وخمسة وسبعين ديناراً ذهبياً وثلاثة دراهم وثلث الدرهم .

بعد الحكم الثاني آل الحكم في الاندلس الى ابنه هشام الثاني الذي تشير النصوص التاريخية الى أنه لم يكن على مستوى العمل الجدي ، فترك الأمر



١ – منظر جانبي للسور المحيط بمسجد قرطبة وقد بدت في مقدمته بعض الزهور والأشجار والماء الرقـراق .

٢ – احدى المناطق الجميلة التي يقع بالقرب منها مسجد قرطبة .

٣ – المحراب في مسجد قرطبة .

٤ – جانب من المحراب الذي يضمه مسجد قرطبة .

الى وزيره المنصور الذي لم يتوان عن توسيع المسجد ، للحاجة الملحة ، من جهته الشرقية ، اذ أضاف ثمانية أروقة على المسجد كله من تلك الجهة ، وتجلت تلك الحاجة الملحة عندما وفد الى قرطبة أعداد كبيرة من البربر ، وقد اهتم الوزير المنصور بزيادته هذه ، باحكام البناء دون المظهر الزخرفي ، ومع هذا التواضع لم تكن لتقل روعة عن سائر الزيادات في المسجد وان كان بعض المهندسين يعتقدون بأن المسجد قد فقد بعض تناسقه بتلك الزيادة الأخيرة .

وفي عام ١٥٢١ م استطاعت الكنيسة الكاثوليكية ان تنتزع من شارلكان السماح لها ببناء كنيسة مكان المسجد ، الا أن المهندس الذي كلف القيام بهذا العمل رفض هدم المسجد ، مأخوذاً بعظمته وجماله وروعة انشائه ، ونجح بذكائه باقناع الملك شارلكان ببناء كنيسة في جانب من جوانب المسجد . وعندما شاهد شارلكان الكنيسة بداخل المسجد أسف لسماحه بذلك وقال كلمته المأثورة : لقد بنيتم ما كان بالامكان بناؤه في اي مكان وشوهتم بناء لا مثيل له في أي مكان ، ويقول المؤرخ « ايلي لامبير » لقد كان وضع الكنيسة داخل المسجد أشبه بعصفور في قفص من ذهب .

واليوم ، تتجه النية لدى السلطات الأثرية الاسبانية نحو اعادة المسجد الى ما كان عليه في عصره الذهبي ●

حسن كمال – دمشق

ملامح النقد الأدبي
في شعر النقائض

بقلم : الاستاذ غازي زين عوض الله

النقائض لغة ، جمع نقيض ، وهي من النقض ، أي الهدم . فالنقائض في الأدب هي شعر يقوله الشاعر وينقض به ما جاء به شاعر آخر ، هاجياً أو مفتخراً ، راداً عليه بهذا الشعر ملتزماً البحر والقافية والروي الذي اختاره الشاعر الأول الذي يريد الرد عليه ونقض شعره . . فهناك وحدة موضوع ووحدة بحر ووحدة روي .

وقد ظهرت النقائض في الجاهلية حيث أن طبيعة الحياة القبلية كانت تتبع التشيع للقبيلة والفخر والحماسة وهجاء الأعداء . فكان الشعر حرباً أدبية تتجاوب أصداؤها في أرجاء الجزيرة فكان لا بد من مقابلة ما يقال تحدياً ، ونقضه بشعر يماثله . فالهجاء لابس النقائض قديماً كما لابسه الفخر ، ولكنها في العصر الجاهلي لم تكن تامة كما يستفاد من ديواني امرىء القيس ، وعبيد بن الأبرحي الأسدي . ومن أمثلة نقائضهما الكاملة :

قال الأول :

ألا يا لهف هند أثر قوم
هم كانوا الشفاء فلم يصابوا
وقاهم جدهم ببني أبيهم
وبالأشقين ما كان العقاب

ورد عليه الثاني :

أتوعد أسرتي وتركت حجرا
يريغ سواد عينيه الغراب

وحروب الجاهلية مليئة بالنقائض التي تفيض هجاء وفخراً ولا سيما حروب الأوس والخزرج .

فيقول حسان بن ثابت :

ويثرب تعلم أنا بها
اذا التبس الأمر ميزانها

فيناقضه قيس بن الحطيم قائلاً :

ونحن الفوارس يوم الربيع
وقد علموا كيف خرسانها

فالنقائض أيام الجاهلية اذن كانت فناً يحبو ، يتسم بالبداءة والسذاجة ، غذتها حروب الجاهلية أو أيامها كما كانت تسمى ولكنها لم تصل الى الدرجة التي وصلت اليها أيام الأمويين .

والنقائض ايام الجاهلية عموماً كانت ضيقة الأفق متأثرة لغايتها القبلية المحدودة فقط . وكان الهجاء من خلالها يقف عند حدود ما يشين صفات العربي الأصيل من كرم وشجاعة .

ولما جاء الاسلام ، تطورت النقائض اذ غابت الصورة القبلية القديمة وصار الشعراء يتسابقون الى هجاء أعداء الاسلام والفخر بالدعوة الاسلامية ، وكان من أبرز الشعراء المسلمين في هذا المجال ، حسان بن ثابت وعبدالله بن رواحة . فكانا يرويان على الشعراء من أعداء الإسلام وخاصة اليهود منهم .

قال ضرار بن الخطاب بن مروان في سعد بن عبادة :

تداركت سعدا عنوة فأخذته
وكان شفاء لو تداركت منذرا

فرد عليه حسان بن ثابت قائلاً :

لست الى سعد ولا المرء منذر
اذا ما مطايا القوم اصبحن ضمرا

وقال عبدالله بن الزبعرى يبكي قتلى بدر :

ماذا على بدر وماذا حوله
من فتية بيض الوجوه كرام

فرد عليه حسان قائلاً :

إبلك بكت عيناك ثم تبادرت
بدم مقل غروبها سجام

وقد أذكت الغزوات الاسلامية هذه النقائض وقوتها . وكان الهجاء عفيفاً . فلم يتسلل الى النقائض في أول العصر الاسلامي اسفاف ولا مجون ولا تبجح ، ثم جاء العصر الأموي فتشعبت الاتجاهات السياسية وتشيع كل شاعر لفريق يدافع عنه ويذود عن حماه .

فالمناقضة تأثرت بالسياسة . فهذا الأخطل، شاعر عبد الملك بن مروان ، وجرير يقف في جانب قيس عيلان الزبيرية ، والفرزدق يخاصمهم قيس عيلان في سبيل تميم ويعين الأخطل عليها ، وكلاهما يناقض جريراً الذي يفخر بقيس عيلان .

والحياة الاجتماعية نفسها في العصر الأموي أثرت على هذه النقائض تأثيراً كبيراً اذ كانت الدولة الأموية في صفتها العامة دولة حديثة عهد بالبداوة ، ولم تنس جاهها الجاهلي القديم ومكانة الأمويين في قريش . فالنظام القبلي واضح في تقسيم الكوفة والبصرة واقامة « المربد » شبيهاً لعكاظ حيث كان شعراء القبائل يجتمعون ويتفاخرون ويتهاجون .

فالعصبيات القبلية كانت من أقوى أسباب النقائض في العصر الأموي بالرغم من أن الاسلام نهى عنها .

وفنون النقائض في العصر الأموي استغلت فنون الشعر العربي اذ ذاك من نسيب وحماسة وفخر وهجاء وذكاء ووصف وغيرها . الا أن الفخر والهجاء كانا عنصرين أساسيين . وقد بلغ الهجاء على أيدي جرير والفرزدق والأخطل حد السباب والفحش الى درجة لم يعهدها الشعر العربي من قبل .

قال غسان :

لعمري لئن كانت بحيليه زانهـــا
جرير لقد أخزى كليبا جريرهـــا

فأجابه جرير :

ألا بكرت سلمى فجد بكورهــــا
وشق العصا بعــد اجتماع أسيرها

وأجابه أبو الورقاء :

ان الـــذي يسعى بحــرّ بلادنـــا
كمبتحث نـــارا بكـــف مثيرهـــا

وكانت الجزالة هي الطابع الغالب على النقائض الأموية ، وقد بلغت فحولة الشعراء ذروتها في عصر الأمويين ، وامتاز الغزل في النقائض بالرقة، والشعر السياسي بالوضوح والقوة ، فالمناقضة كانت صنعة فنية .

الفرق بين شعر جرير والفرزدق والأخطل

لعل من بين العوامل التي أثرت في نقائض جرير ، فقر قومه بالنسبة الى قوم الفرزدق . فعمد الى أخذ معانيه ، من مثالب خصومه لا من مآثر قومه . فكان هجاء مفحشاً ، وكان شعره أقل فخامة من شعر الفرزدق ، وأكثر رقة .

وأما من حيث الصياغة فكان جرير أكثر محافظة على نسق القصيد الجاهلي من صاحبيه الفرزدق والأخطل ، وكان في نسيبه وغزله رقيقاً عفيفاً في الوقت الذي كان فيه فاحش الهجاء . وكان جرير أشعر عند العامة من صاحبه الفرزدق . وقد اختاروا له هذا البيت على أنه أفضل الأبيات مدحاً :

ألستم خــير مــن ركب المطايـــا
وأنـــدى العالمــــين بطـــون راح

أما الفرزدق فقد نشأ في أسرة غنية ذات حسب وجاه ، فاتخذ من ذلك مادة لفخره وعرف به ، فكان المدافع عن قومه :

أرونــــي مـــن يقوم لكـــم مقامي
اذا ما الأمر جــل عــن العتاب

يضاف الى ذلك جفاء طبعه وعنجهيته ، وفظاظة ألفاظه التي تتجاوز قوانين النحو المشهورة ، وقد تتلمذ عليه المتنبي في ذلك ولم يكن ملتزماً بالنسيب في أول القصيدة كما كان متبعاً في الشعر الجاهلي . وعلى العموم كان جامد العاطفة وبلغ به كبره أن هدد الخليفة معاوية فأغلظ في هجائه .

أبـــوك وعمـــي يا معاويه أورثـــا
تراثـــا فيجتـــاز الـــتراث أقاربه

أما الأخطل فكان يهذب قصيده ويحسن تقسيمه ويدقق في تصوراته وعباراته حتى يبدو محكماً متلاحم العناصر جزلا . لذلك لم يكن شعره في سهولة شعر جرير ولا في ضخامة شعر الفرزدق .

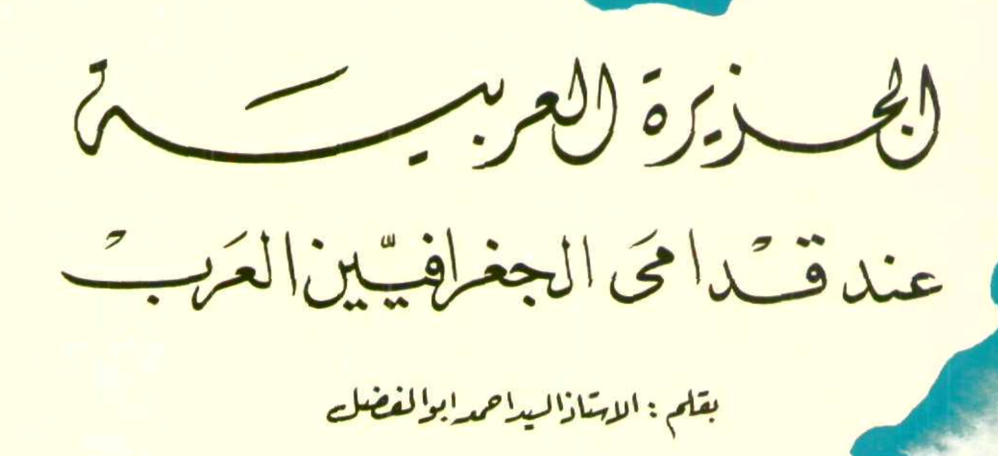
أما من ناحية اثر النقائض الأموية في الشعر العربي ، فمما لا شك فيه أنها أثرت فيه تأثيراً كبيراً ، فهي امتداد ناضج للشعر الجاهلي وابتدعت نوعاً من الشعر ، هو الشعر السياسي . وكان الشعراء يلتقون في « المربد » يتبارون في قصائدهم ، مما أثّر على الحياة الأدبية وأثراها ، وصار الرواة يتناقلونه فاتصل الشعر بالحياة العامة واصبح تاريخاً لما حدث في ذلك العهد .

وقد أدت شروح هـــذه النقائض الى تكوين مصدر خصب لدراسات لغوية وأدبية واجتماعية وسياسية ، جمّه ، ندرس من خلالها أحداث ذلك الزمان ونستعيد وقائعه فنكوّن صورة حيّة عن جانب من جوانبه الثقافية الغنية ●

غازي زين عوض الله — جده

المــراجــع :

تاريخ النقائض في الشعر الجاهلي	تأليف: أحمد الشايب
نقائض جرير والأخطل	تأليف: أبي تمـــام
النقائض بين جرير والفرزدق	تأليف: أبي عبيدة معمر المثنى التميمي
في النقد الأدبي	تأليف: الدكتور شوقي ضيف



الجزيرة العربية عند قدامى الجغرافيين العرب

بقلم : الاستاذ السيد احمد ابو الفضل

تحديد الجزيرة

كان العرب يفهمون معنى الجزيرة كما نعرفه اليوم ، ويسمون بلادهم جزيرة بهذا المعنى ويرون ان الانهار والبحار تحيط بها من جميع الجوانب .

ولعل أول ما وصلنا من ذلك هو ما نقله ياقوت في « معجم البلدان » عن ابي المنذر هشام بن محمد بن السائب الكلبي مسنداً الى ابن عباس رضي الله عنه قال : « وانما سميت بلاد العرب جزيرة لاحاطة الانهار والبحار بها من جميع اقطارها وأطرافها ، فصاروا منها في مثل الجزيرة من جزائر البحر » .

ومعنى ذلك ان بلاد العرب ، وان كانت تحيط بها البحار من ثلاث جهات فقط وهي الشرق والغرب والجنوب ، فان نهر الفرات يحفها من الشمال الشرقي الى الشمال منعطفاً عليها الى مسافة قريبة من البحر الأبيض المتوسط عند مدينة قنّسرين .

وعلى ذلك فان العرب يدخلون في جزيرتهم كلا من سوريا ولبنان وفلسطين كما يتضح ذلك من تفسير ابن الكلبي عند ياقوت في مادة : « جزيرة العرب » . واذن فحدود الجزيرة عند العرب هي :

بحر عمان ، ثم خليج العرب والمحيط الهندي وخليج عدن جنوباً ، والبحر الأحمر « بحر القلزم » ثم سيناء والبحر الأبيض غرباً ، ونهر الفرات الى قنّسرين في الشمال الغربي من سوريا شمالاً .

وربما كان السبب في تحديد ابن عباس او ابن

الكلبي جزيرة العرب على هذا النحو هو ما أحس به العرب الفاتحون في أول التاريخ الاسلامي من تقارب سكان سوريا وفلسطين وسيناء مع سكان بلاد العرب الاصلية في الجنس واللغة وطبيعة الحياة .

ومعروف ان اكثر سكان تلك البلدان – ان لم يكن كلهم – كانوا من اصل سامي صادر عن جزيرة العرب في أرجح الأقوال ، كما كانت لغاتهم تتشابه الى حد كبير مع لغات عرب الجزيرة الاصليين . أما علماء الغرب فيجعلون الحد الشمالي لجزيرة العرب خطاً وهمياً يمتد من خليج العقبة الى مصب دجلة والفرات المسمى « شط العرب » . وعلى ذلك يكون النفوذ الشمالي المسمى قديماً بالدهناء او رمل عالج ، وهي تسمية اخرى للنفوذ ، حداً يفصل أرض الهلال الخصيب عن شبه الجزيرة .

وقد يكون هذا التحديد سياسياً أكثر منه جغرافياً طبيعياً ، لان طبيعة ارض الهلال الخصيب من الناحية الجيولوجية والطابع الصحراوي العام لا تختلف عن سائر انحاء الجزيرة . اما التحديد العربي فهو أقرب الى التحديد الطبيعي ، لأن الأصل في الحدود ان تكون انهاراً او بحاراً أو جبالاً شامخة تفصل بعض البلاد عن بعض او صحارى كذلك .

ولقد كان قدماء المصريين يعدون كل ما هو شرقي بلادهم الى حدود بابل بلاداً واحدة يسكنها العرب ، مما يؤيد التحديد العربي القديم .

تقسيم الجزيرة

على اننا من ناحية اخرى اذا نظرنا في تقسيم العرب لجزيرتهم ، نجدهم لا يدخلون سوريا ولبنان وفلسطين في ذلك التقسيم .

فالعرب ، كما تدل على ذلك اشعارهم وأخبارهم ، يقسمون الجزيرة الى خمسة أقسام هي : تهامه ، والحجاز ، ونجد ، والعروض ، واليمن . وجميع هذه الأقسام ، اذا تبيناها ، واقعة في داخل الجزيرة حتى بادية الشام ولا تدخل فيها الشام وما والاها . ونحن ازاء ذلك لا نجد سبيلاً لحل هذا التعارض الا ما أشرنا اليه آنفاً من ان بلاد العرب الأصلية هي شبه الجزيرة الى حدود بادية الشام فقط . فهذا هو المهد العربي الحقيقي الذي يضم بين جوانبه العرب الخلص ، بصرف النظر عن الفروع التي تفرعت من الجزيرة وأخذت أسماء اخرى .

أما تحديد ابن عباس فهو مبني ، فيما يظهر ، على الناحية الجيولوجية اولاً ولعله لوحظ فيه ايضاً ما وجده المسلمون عند الفتح في سوريا ولبنان وفلسطين من انساب عربية او قريبة الى العربية ومن لغات تمتّ الى لغة العرب بقرابة ظاهرة .

فأقسام الجزيرة عند العرب هي خمسة . وأساس هذا التقسيم عندهم هو جبل السراة ، وهو اعظم جبال العرب ، وبالأحرى هو سلسلة جبال تمتد من اليمن جنوباً الى اطراف بادية الشام شمالاً في موازاة البحر الاحمر حيث تقترب منه هذه الجبال في عدة مواضع ، وهو تتفاوت في الارتفاع والانخفاض ومتوسط ارتفاعها نحو خمسة الاف قدم ، وتصل احياناً الى ارتفاع اكثر من ذلك حيث تبلغ زهاء ١٢٣٣٦ قدماً في ارض اليمن . وهذه السلسلة الجبلية تقسم جزيرة العرب الى قسمين : غربي وشرقي :

فالقسم الغربي ، وهو أصغر القسمين ينحدر انحداراً شديداً من سفوح جبال السراة حتى يصل البحر الأحمر ، ومن أجل شدة الهبوط والانحدار سمي هذا القسم « تهامة » او الغور ، أي الأرض المنخفضة ، وهي منطقة ساحلية ضيقة على ساحل البحر الأحمر تمتد من اليمن في الجنوب حتى أطراف بادية الشام .

هذه هي تهامة عند اطلاق هذا اللفظ ، وان توسع فيها العرب فأطلقوها على المنطقة الممتدة من ساحل البحر الاحمر حتى المنحدر الشرقي لسفوح جبال السراة . ولكن العرب كانوا يضيفون اسم تهامة الى اسم القسم الذي تحاذيه من اجزاء الحجاز واليمن . وكانوا يطلقون ايضاً اسم تهامة على كل ارض منخفضة حسب المعنى اللغوي ، فقالوا : تهامة العروض ، وغير ذلك من الأقسام الواقعة في شرقي الجزيرة .

وأكثر أجزاء تهامة رملي شديد الحرارة قليل الانبات ، وتقع فيها كثير من المرافىء العربية مثل جدة وينبع في الحجاز ، والحديدة والمخا في بلاد اليمن ، وتقع في شمال هذه المنطقة ميناء صغيرة تعرف باسم الوجه ، وهي عبارة عن بلدة صغيرة تشتمل على عدد قليل من البيوت الحجرية . ويرى بعض المستشرقين ان هذه المدينة كانت ميناء مدينة الحجر المعروفة الان باسم « مدائن صالح » . وتقع جنوبي ميناء الحجر هذه ، مدينة الحوراء التي يقال انها : موضع المدينة القديمة « ليوك كوما – Leuk Kome » التي انشأها اليونان على ساحل البحر الاحمر لحماية السفن من غزوات العرب ، كما كانت مرفأ سفن مصر المتجهة الى المدينة ، ومن هذا الميناء ايضاً صدرت غزوة الرومان لبلاد اليمن سنة ٢٤ قبل الميلاد تحت قيادة القائد الروماني اليوس جالوس ، وقد باءت هذه الغزوة بالفشل وعادت من حيث أتت .

وعلى محاذاة المنطقة الساحلية المذكورة توجد هضاب

ونجود متصلة بها كما سبق ان ذكرنا وتقع مكة المكرمة في المنطقة المحاذية لتهامة الحجاز كما تقع زبيد وبيت الفقيه في المنطقة المحاذية لتهامة اليمن .

أما القسم الشرقي ، وهو أكبر القسمين ، فينحدر شرقي جبل السراة في تدرج بطيء ، ولهذا كان هذا القسم أعلى كثيراً من تهامة ، وهو يأخذ في الاتساع والامتداد حتى يصل الى ارض العروض في الشرق ، أي اليمامة والبحرين وما والاهما . ويسمى هذا القسم أرض نجد : اي الأرض المرتفعة لانها هضبة عالية تقع في قلب الجزيرة ويبلغ متوسط ارتفاع هذه الهضبة ٢٥٠٠ قدم ، وتتخللها اودية وتلال ترتفع عن سطحها بضع مئات من الأقدام في بعض الأحيان . ويقسم علماء العرب نجداً الى قسمين هما : نجد العالية ، ونجد السافلة .

أما نجد العالية فهي ما يلي الحجاز ، ونجد السافلة او الواطئة ، فهي ما يلي بلاد العراق . وكانت نجد حتى القرن السادس الميلادي ذات غابات واشجار وبخاصة في المنطقة الواقعة جنوبي وادي الرمة في عالية نجد ، اي قريباً من جبال شمّر في الشمال ، وتقع ارض طيء في شمال نجد حيث يفصل بينها وبين صحراء النفود جبلا أجا وسلمى . وكانت صحراء النفود تعرف قديماً باسم الدهناء وكذلك باسم رملة عالج ، ولكن غلب عليها اسم النفود ، بعد ذلك . ويسمى القسم الشرقي من نجد باسم : الوشوم . لكن ياقوتاً عده في معجمه من اليمامة . ويسمى سهل نجد الفسيح الممتد بين الوشوم في الشرق وحرّة خيبر في الغرب وجبال طيء في الشمال ، يسمى القصيم ، والقصيم لغة : هو الرمل الذي ينبت شجر الغضا ، والغضا شجر من الاثل ، ويعرف اهل نجد باسم اهل الغضا لكثرته في نجد وان كان ينبت أيضاً في أماكن أخرى من الجزيرة العربية .

جبل السراة "الحجاز"

أما سلسلة جبال السراة نفسها فهي تعرف بأرض الحجاز ، وهي تلك المنطقة الجبلية العالية الحاجزة بين نجد وتهامة ، وتمتد من شمالي مدين الى حدود اليمن . وبعض العلماء يعد منها ايضاً تبوك وفلسطين ، ويسمى القسم الشمالي من الحجاز مدين ، ويسمى ايضاً حسمى : ويطلق حسمى على سلسلة من الجبال تتجه من الشمال الى الجنوب وتتخللها اودية محصورة بين التيه وايلا من جهة ، وبين ارض بني عذرة من جهة اخرى . وكانت قبائل جزام تسكن ارض حسمى هذه في الجاهلية ، وفي الوقت الحاضر يسكنها عرب الحويطات ويعتقد بعض المستشرقين انهم من بقايا النبط .

وتتخلل ارض الحجاز اودية كثيرة أهمها وادى القرى : وهو واد مشهور بين مدينة العلا والمدينة المنورة ، وكان يمر به طريق القوافل القديم بين جنوبي بلاد العرب وبين سوريا ومصر .

ومدينة العلا من أهم المناطق القديمة الواقعة في ذلك الوادي ، ويعتقد انها في مكان المدينة القديمة المذكورة في العهد القديم « التوراة » باسم ددان ، وفي وادي القرى ايضاً تقع مدينة قرح : وهي المدينة التي كان فيها هلاك قوم النبي هود « اي قوم عاد » . ويذكر رواة العرب ان مدينة قرح هذه كانت من الأسواق الكبيرة في الجاهلية الأولى ، اذ كانت تقع عند ملتقى طريق مصر القديم بطريق الشام ، وكان يسكن هـذه المدينة في الجاهلية قبائل بلّى بن عمرو بن الحاف بن قضاعة .

ومن مدن وادي القرى ايضاً الحجر : المعروفة بمدائن صالح ، كما تعرف ايضاً باسم « البطراء او البتراء » وهي باللاتينية — Petra

وكانت مدينة الحجر هذه من أهم المدن القديمة في شمال الحجاز اذ كانت ايضاً منزلاً مهماً من منازل الطريق التجاري بين جنوبي بلاد العرب وبين سوريه ومصر ، كما كان يخرج منها فرع من الطريق المذكور .

وقد عثر الباحثون في وادي القرى على كثير من الكتابات العربية الجنوبية القديمة ، كما عثروا على كثير من الكتابات العربية الشمالية كالثمودية واللحيانية والنبطية .

وقد ذكرنا ان ميناء مدينة الحجر التي كانت تسمى الوجه في ارض تهامة ، وكانت تنتهي عند هذا الميناء ارض قبائل بلى بن عمرو : وهي قبائل يمنية قديمة كانت تسكن في منطقة قبائل ثمود بين ارض جهينة وارض جزام كما كانوا يسكنون شبه جزيرة سيناء ، أي ان منازلهم كانت تقع بين ينبع ويثرب من جهة وبين حدود ارض مصر من جهة أخرى .

أما قبائل جهينة فكانت تسكن عند ميناء قرح ، كما كانت قبائل عذرة بن سعد بن الحاف بن قضاعة اليمنية تسكن كذلك بين وادي القرى ومدينة الحجر .

وتقع في الحجاز ايضاً مدينة يثرب ، وان قيل ايضاً انها تقع في نجد لقربها من نجد . ويثرب : هي مدينة الرسول — صلى الله عليه وسلم ـ وهي تقع في ارض بركانية بين حرتين « الحرة هي الحجارة السوداء » شمالي جبل احد .

ومن اودية المدينة وادي العقيق ، وهو من أخصب

الأودية واجملها وفيه منازل وقصور وقرى ، ووادي بطحان : وكان يسكنه بنو النضير .

وثالث اودية المدينة هو وادي قناه : وهو يأتي من الطائف ثم ينتهي عند اصل قبور الشهداء في جبل احد وفيه زرع وحرث ومال .

وتقع الطائف : ايضاً في الحجاز ، وهي على بعد ١٢٠ كيلومتراً الى الجنوب الشرقي من مدينة مكة . وسميت طائفاً فيما يقال لحائطها الذي كان يحيط بها ، وتسمى الطائف ايضاً وادي وجّ : وهي ارض مرتفعة ممتدة على ظهر جبل غزوان ، ويبلغ ارتفاعها نحو ٥٠٠٠ قدم من سطح البحر .

وقد عثر في الطائف على نقوش قديمة ، وكان أكثر سكانها عند ظهور الاسلام من ثقيف ، كما كان يساكنهم بطون من حمير . وتحف بالطائف اودية كثيرة تسيل فيها المياه في موسم الأمطار وحولها عيون ومياه وآبار كثيرة .

وفي جنوبي مكة المكرمة ايضاً جبال كانت تسكنها هذيل ، كما كانت هذيل تسكن ايضاً الجبال بين مكة والمدينة ، وهذه الجبال تسمى سراة هذيل ، وكانت تجاورها قبائل سليم وكنانة .

العروض واليمن

والقسم الرابع من الجزيرة عند العرب هو العروض ، والعروض في الاصل هو الشيء المعترض وتطلق ايضاً على الجانب .

ويحدد ابن الكلبي العروض بأنها عبارة عن بلاد اليمامة والبحرين وما والاها . ولعل سبب تسميتها عروضاً هي وقوعها في جانب من الجزيرة او من هضبة نجد وقيل لان عمرانها اخذ بالعرض على خلاف بقية اجزاء الجزيرة فان عمرانها يمتد طولاً من الجنوب الى الشمال . ويطلق لفظ العروض ايضاً ، في الكتب العربية ، على مكة والمدينة واليمن . كما تطلق ايضاً على مكة والطائف وما حولهما . كما يقال ان العروض هو ما خالف ارض العراق من ارض العرب .

وأغلب ارض العروض صحارى وسهول ساحلية ترتفع في الجهات الغربية عن ساحل البحر . وتشمل العروض اليوم منطقة كبيرة ، تشمل البحرين والاحساء وقطر واليمامة .

اليمن

والقسم الخامس من الجزيرة عند جغرافيي العرب هو القسم الجنوبي منها – اي بلاد اليمن وكانت اليمن تطلق في النصوص العربية الجنوبية على منطقة صغيرة بالقياس الى التقسيم العربي المتأخر اذ كانت تذكر الى جانب مناطق سأ وذي ريدان وحضرموت وغيرها .

أما الجغرافيون العرب المتأخرون فيطلقون اليمن على منطقة كبيرة تمتد حدودها من تهامة الى العروض ، وهي تشمل اقساماً مختلفة من النجود والتهائم ، وبها سهول خصبة تنحدر اليها أودية من الجبال المحاذية للساحل . وهذه الجبال هي امتداد لجبل السراة الضارب في الجزيرة العربية من شمال الحجاز الى شمال عدن ، وتمتد وراء تلك الجبال نحو الشرق هضاب فسيحة تتدرج في الهبوط حتى تنتهي الى فلاة بعيدة الأرجاء تمتد الى صحراء الدهناء كما تتصل ايضاً بصحراء « صيهد » المعروفة اليوم باسم « الربع الخالي » . وفي الجنوب الشرقي من تهامة اليمن تقع منطقة عدن وتسيطر عليها عدة هضاب يخترقها عدد من الاودية التي تبدو انها بقايا أنهار جافة . ويلي منطقة عدن نحو الشرق منطقة حضرموت الممتدة على ساحل بحر العرب او بحر اليمن من شرقي بلاد اليمن او منطقة عدن الى منطقة سيحوت الواقعة عند مصب وادي حضرموت غرباً ، وتنتهي في الشمال الى منطقة الربع الخالي ، ومن شرقي سيحوت تبدأ سواحل مهرة التي تعرف عند الجغرافيين العرب باسم الشحر ، ولكن اسم الشحر يطلق اليوم على الميناء الغربي لبلاد مهرة فقط ، ويعرف اليوم الاقليم الممتد من سيحوت الى حدود عمان باسم ظفار ، وهذه ظفار القديمة الواقعة في منطقة تهامة اليمن عند جبل ريدان والتي قيل فيها : « من دخل ظفار حمّر » اي كان عليه ان يتعلم الحميرية او يتكلم بها . وترتفع منطقة ظفار الشرقية الى ٣٠٠٠ قدم فوق سطح البحر ، وتنمو على جبالها اشجار الكندر التي اشتهر بها جنوبي الجزيرة قبل الاسلام .

ثم تلي منطقة ظفار هذه منطقة عُمان : وهي ارض جبلية ذات هضاب متموجة وسهول ساحلية ، وفي بعض انحائها عيون ومجاري مياه معدنية شديدة الحرارة في أكثر الأحيان ، وأعلى قمة بها هي قمة الجبل الأخضر التي يبلغ ارتفاعها الى ٩٠٠٠ قدم ، وتحيط بهذا الجبل أراض خصبة .

وفي عُمان مدن قديمة منها صحار ودبا وكانت قديماً من المدن الهامة ، كما كانت سوقاً من اسواق الجاهلية ، وسكانها من الازد ونزوة .

والعُمانيون من الشعوب البحرية ، ولهم صلات منذ القدم بسواحل افريقيا والهند .



تقسيمات اخرى للجزيرة العربية

وهناك تقاسيم اخرى لشبه الجزيرة العربية بنيت على وجهات مختلفة من النظر ونكتفي هنا بذكر اثنين منها . فجغرافيو اليمن بوجه خاص يقسمون شبه الجزيرة العربية الى قسمين اثنين ، كما ذكر ذلك ابو محمد الهمداني في كتاب « صفة جزيرة العرب » قال : « هي عند أهل اليمن « اي الجزيرة العربية » يمن وشام ، فجنوبها اليمن وشمالها الشام ونجد وتهامة » .

وفي هذا التقسيم تدخل العروض في اليمن لامتداد حكم اليمنيين اليها في حقب كثيرة من التاريخ القديم ، كما تدخل الحجاز ونجد في قسم الشام .

والظاهر ان لهذه التسمية اصلاً في الجاهلية ، فقد كان العرب يسمون ما كان عن يمين الكعبة للمتجه شرقاً باسم اليمن ، وما كان عن شمالها باسم الشام . وفي لفظ اليمن معنى اليمين كما في لفظ الشام معنى الشمال ، ومن ذلك قوله تعالى : « **فأصحاب الميمنة ما اصحاب الميمنة وأصحاب المشأمة ما أصحاب المشأمة** » (١)

ويبدو ان كلمة الشام ترجع في اصل وضعها الى كلمة « شمال » التي ورد ذكرها في عدة كتابات مسمارية في عهد الملك شلمنصر (٨٦٠–٨٢٥ ق . م) وتجلتبليزر (٧٣٨–٧٣٤ ق . م .) واسرحدون (٦٨١–٦٦٨ ق . م) واشوربانيبال (٦٦٨–٦٢٦ ق . م)

ولكن معناها في هذه النقوش هو المنطقة الآرامية التي ازدهرت تحت حكم الاراميين في شمال سورية حوالي سنة ١٠٠٠ ق . م . وما بعد ذلك . وفي معناها الاصلي معنى الشَّمال والشِّمال .

أما جغرافيو اليونان والرومان فيقسمون بلاد العرب الى ثلاثة اقسام طبقاً للحالة السياسية التي كانت عليها هذه البلاد في القرن الاول للميلاد – وهذه الاقسام هي :

- **العربية السعيدة** – Arabia Felex
- **العربية الصخرية أو الحجرية** – Arabia Petreae
- **العربية الصحراوية** – Arabia Deserta

ولم يظهر هذا التقسيم الا عند هيرودوت ، وعرفه سترابون – Strabon ولم يأخذ به العرب مع انهم عرفوا جغرافية بطليموس .

فالقسم الاول هو القسم المستقل ، وهو أكبر الأقسام الثلاثة رقعة ، ويسمى في اليونانية ايضاً اربيا بياتا – Arabia Peata ويشمل كل المناطق التي يقال لها شبه جزيرة العرب في الكتب العربية ، وحدوده الشمالية غير ثابتة لانها كانت تتغير وتتبدل حسب الاوضاع السياسية . ويمكن القول انه كان يبدأ عند محاذاة مدينة السويس حالياً ممتداً الى الشرق والجنوب فيشمل وسط الجزيرة وجنوبها .

والقسم الثاني ، وهو العربية الحجرية كان يطلق على بلاد النبط ، أي الأراضي الجبلية والمرتفعات المتصلة بها في شرقي البحر الميت وشرقي وادي عربة ممتداً الى الخليج العربي المعروف باسم خليج العقبة ، كما كان يشمل ايضاً شبه جزيرة سيناء . وقد ضم الرومان بلاد النبط بعد سقوط دولتهم سنة ١٠٦ م – الى المقاطعة العربية الرومانية التي كانت تعرف باسم اربيا بروفنسيا، أي المقاطعة العربية – Arabia Provencia

والظاهر من كلام تيدوروس الصقلي ان هذه المقاطعة كانت في شرقي ارض مصر وجنوبي البحر الميت « في جنوبه الغربي » كما كانت في شمال العربية السعيدة وغربها .

والقسم الثالث ، هو العربية الصحراوية ، ولم يعين الكتاب اليونان والرومان حدودها تعييناً دقيقاً ، ولكنهم كانوا يقصدون بها بادية الشام الفاصلة بين الشام والعراق ، ويكون نهر الفرات حدها الشرقي وكانت حدودها الشمالية وحدودها الغربية ، كانت تتبدل وتتغير حسب الاوضاع السياسية ، ويمكن ان يقال ان حدودهـــا هي المناطق الصحراوية المجاورة للبلدان الزراعية في الشام .

وفي شمال هذه المنطقة وشمالها الشرقي كانت تقع مملكة تدمر التي كانت زينب او الزبّاء من ملوكها ●

السيد احمد ابو الفضل – القاهرة

(١) الآيتان ٨ و ٩ من سورة الواقعة

دراسة علمية في حلقات حول :

اسباب سوء التغذية

(٤)

بقلم : الدكتور سعيد محمد الحفار



لا شك في أن تحديد التدابير اللازم اتخاذها في سبيل مكافحة سوء التغذية الذي يعاني منه ملايين البشر بأشكال مختلفة ، مرهون بمعرفة أسباب مشكلة سوء التغذية وتحديد أبعادها ، ولطالما ان مشكلة التغذية كما أشرنا في حلقة سابقة معقدة يتداخل بعضها ببعض فانه لا بد لنا من التعرض لبعض هذه العوامل التي منها :

العوامل الجغرافية

لقد لوحظ أن أقسى مضار سوء التغذية تشاهد في الواقع في الأماكن الأقل حظاً من حيث خصوبة التربة ، ونوعها ، ونسبة الرطوبة ، ومنسوب المطر ، فهذه كلها عوامل تحدد نوعيه انتاجية الأغذية النباتية والحيوانية .

العوامل الثقافية

وتعتبر هذه العوامل غاية في الأهمية لأن الجهل بالمبادىء الغذائية الصحيحة وبمحتويات الأغذية من ركازات الحياة . فمفهوم الغذاء المتوازن ، ومتطلبات جسم الانسان في كافة مراحل نموه منذ أن كان نطفة ، ان هي الا أمور تمخضت عن نوع من سوء التغذية يتعلق بالكيف لا بالكم ، فالشعوب التي اعتادت تغذية أطفالها على أغذية أساسها الحبوب فقط دون غيرها ، ستسبب للطفل نقصاً في حمض اميني هو « الليسين » الضروري للنمو ، فينتج عن ذلك سوء التغذية .

زد على ذلك أن امتناع بعض الشعوب عن تناول بعض المغذيات المتوفرة في بيئاتها لأسباب مختلفة . سبب من أسباب سوء التغذية . فأكل البيض محرم في بعض أجزاء من افريقيا . والأسماك المفرطحة وأنواع من القشريات محرمة في بعض أجزاء من العالم . وعلى هذا فان مصادر ثمينة للغذاء البروتيني قد حكم عليها الجهل وتعامت عنها الشعوب بالتقاليد البالية ، وهذا لا يعني أن هذه العادات الغذائية يجب التغاضي عنها . بل العكس هو الصحيح ، فان هذه التقاليد يجب مراعاتها وأخذها بعين الاعتبار لكونها جزءاً من ثقافات وحضارات الشعوب . وتزداد اهميتها كلما تضاءلت وسائل تطور التغذية . ولذلك . فانه لا مجال للتوفيق بينهما الا عن طريق الثقافة الغذائية والاقناع العلمي ، مراعاة لنقطة هامة جداً وهي أن التغذية عملية وظيفية ينشد الانسان منها ارتواء نفسياً معيناً واحساساً بالطمأنينة والصحة لا يحسه المرء الا اذا أكل المأكولات التقليدية التي تعوّد تناولها ، فالنجاح في ادخال وسائل جديدة للتغذية يجب أن يعتمد الى حد كبير على دراسة العادات والتقاليد السائدة . حتى لا يكون الاصلاح المنشود تحدياً للعادات المتحكمة في الناس .

فالثقافة الغذائية من متطلبات العصر بغية مكافحة سوء التغذية والحفاظ على الصحة العامة عن طريق تقوية البدن وامداده بما يلزمه لصيانته وللدفاع عنه . وعلى هذا لا بد من افتتاح مراكز للتثقيف الغذائي والعلاج الغذائي معاً . بغية تحقيق هدفين معاً . لا يمكن فصل أحدهما عن الآخر . هما : تعليم الأمهات كيفية تأمين التغذية المتوازنه لاطفالهن ولأفراد العائلة . ومعالجة الأطفال المصابين بسوء التغذية وكيفية تحقيق ذلك عن طريق تحسين برامج التغذية من ناحيتي الكيف والكم .

وقد عمدت معظم الدول النامية وفق توجيهات الاخصائيين الدوليين الى القيام بتأسيس مثل هذه المراكز . ولكن بعضها قد عمد الى اضافة وظيفة ثالثة لهذه المراكز وهي تنفيذ برامج التوعية الصحية والوقاية من الأمراض المعدية كالجدري والحصبة والدرن الرئوي والأمراض المستوطنة المرتبطة بالبيئة وبظروف المعيشة المحلية غير الصحية . فاذا ما تضافرت الجهود لتأمين نوعي التوعية معاً . برامج تحسين الغذاء . وكيفية تأمين الغذاء المتوازن من جهة . والتوعية الصحية من جهة أخرى . أمكن انقاذ الكثيرين من ويلات المرض . وانقاذ المجتمع من أناس كانوا عالة عليه بدلاً من أن يكونوا عاملين فيه . وقد اقترح الخبراء أيضاً ضرورة اشتمال برامج التثقيف الغذائي هذه على مناهج دقيقة تتعلق بالرضاعة الصناعية وكيفية تفادي الارتكاسات الناتجة عنها . والعناية بمتطلبات الطفل في كل مرحلة من مراحل نموه . ولكن هذا الأمر سيبقى بالفعل على المستوى النظري اذا لم تعمل الدول المعنية بمساعدة المنظمات الدولية المتخصصة الى جعله مقروناً ببرامج منظمة تستهدف الوقاية من سوء التغذية تتناول انتاج الطعام وتوفيره في الأسواق . وأسعار المواد الغذائية . والقوة الشرائية للناس ضمن نظم سليمة للغذاء والتغذية . كما يجب أن تعنى الدول المعنية في الوقت ذاته بتوفير أغذية محلية رخيصة مناسبة لفترة فطام الأطفال . لأن ذلك يعتبر أمراً جوهرياً للوقاية من سوء التغذية لدى الصغار .

اضطراب التوازن بين الانتاج النباتي والحيواني

أشرنا فيما مضى الى أن انتشار سوء التغذية انما يشيع في المناطق الآهلة بالسكان ، مثل آسيا . حيث تستغل الأرض المتاحة لانتاج محاصيل ذات انتاجية عالية على حساب انتاج الخضر أو تربية الحيوان التي تعتبر خير مصدر للبروتين اللازم للسكان . كما أشرنا الى دور العوامل الجغرافية في الموضوع . ولكن كسب معركة القضاء على سوء التغذية يتطلب تحسين الموارد الزراعية بحيث تصبح قادرة على تعويض النقص في الأغذية من جهة . وعلى مسايرة الحاجة المتزايده للغذاء الناتجة عن انفجار السكاني من جهة أخرى . وهنا يشير الباحثون الى نقطتين :

أولهما : ضرورة تحسين انتاج الأغذية التقليدية .

ثانيهما : زيادة انتاج أنواع جديدة من الحبوب غنية بالبروتين ووفيرة الغلة وقادرة على مقاومة الأمراض . وقابلة للتكيف مع شروط البيئة المحلية .

وهي كلها نقاط تتطلب برامج منسقة وعلى مستوى عال ليتم تحقيقها . وتتطلب أطرا فنية من الاخصائيين في مجال كل من الانتاج النباتي والانتاج الحيواني وتحسينهما . ويعتقد الخبراء أن من مظاهر انتكاس الزراعة وتطورها حالياً هو أن اضطراباً في ميزان انتاجها النباتي والحيواني قد حدث فعلاً . حيث طغى الانتاج النباتي على الانتاج الحيواني . ولذلك كان لا بد من تلافي العجز في مصادر البروتين الحيواني اللازم للنمو العضوي والعقلي للانسان من المصادر البحرية ، ومن مشتقات النفط ، ومن الأحياء الدقيقة . وجدير بالذكر أن برامج مكافحة مشكلة سوء التغذية في العالم على الرغم من جهود المخلصين . قد أصيبت فعلاً بنكسات عديدة مقابل عديد من النجاحات الباهرة . فالمعركة مع سوء التغذية تتطلب سلوك كل طريق وأي طريق . وتتطلب الافادة من النجاح والفشل لأنها بالفعل غاية في التعقيد وغاية في الأهمية في وقت واحد ●

د . سعيد محمد الحفار – دمشق

العودة

بقلم: الاستاذ رفيق موسى عفانه



كان الحديث يدور ساخناً بين عزمي وزوجته خديجة ، وهما يستدفئان بدفء كانون النار في تلك الليلة من ليالي الشتاء ، بينما الاولاد يدثرون بأغطية بالية ، وينامون فوق حصير مهترىء . وكأي حديث فيه خلاف كان يعلو الى درجة الصراخ تارة، ويخبو الى مرتبة الهمس تارة أخرى . والوقت يمضي ، والليل ينتصف وخديجة لا زالت تشبع زوجها لوماً وعتاباً ، بينما آثر الزوج السكوت في النهاية ، ولم يعد ينبس ، بل اكتفى ينظر بعينين حزينتين تشعان توسلاً بأن تكف عن الصراخ ولكن الزوجة الثائرة تستمر بعناد، ويقودها غضبها في النهاية الى التطاول على زوجها بكلمات لاذعة وأوصاف جارحة ، مما جعل زوجها يستشيط غضباً، ويلطمها على وجهها ، ثم يهزها بعنف وهو يصرخ : اسكتي ايتها الحمقاء ، هل وصل بك الأمر الى حد التطاول علي ؟ ، ام انه غاب عنك انني زوجك ووالد أطفالك ، ثم يرفع يده عنها ويتابع قائلا بصوت أقل حدة : هل تعتقدين انني لا احب ولدي ؟ ! أم انك نسيت انه قطعة مني ، ثم يهدأ قليلاً ليقول بصوت هامس : انه اغلى على نفسي من نفسي ، انني احبه مثل ما تحبينه وأكثر وكل ما فعلته الليلة كان بدافع من حبي له وحرصي عليه . وهنا تكفكف خديجة دموعها ، وتقترب من زوجها لتقول له : انا لا الومك على لطمي ، ولكن حرقتي على ولدي هي التي دفعتني الى كل ذلك . ورغم كل هذا لا أجد مناصاً من ان أقول لك : كان عليك ان تأخذه

باللين والرفق من ان تضربه في مثل هذا الليل . . اين هو الآن . . لقد خرج من البيت بل قل انه هرب وربما لا يعود ابداً . . وتستسلم لبكاء مرير . ويزفر عزمي زفرة مقهورة ويرد عليها قائلاً كم من مرة تغاضيت عن أفعاله الشائنة . . وكم من مرة أثرت المشاكل مع جيراننا الطيبين من أجله . . ان ابنك يا خديجة لم يعد يطاق . . انا نفسي لم اعد احتمله وكل ذلك بسببك انت . . أجل . . انت التي كنت تفرشين له الأرض ورداً كلما علمت انه غرس شوكة في جلد أحد . وكثيراً ما سمعتك تقولين له . . لا عليك يا سالم . . لا تأبه لأحد . . كن مهاباً . ولا تكن جبانـــاً . . فماذا غدا ولدك يا ترى ؟؟ . أخذ يضرب هذا . ويسرق ذاك . . وأصبح عجينة من الشر لا تجف . فماذا تريدين أن أفعل ؟ . . أشجعه وأثني عليه ؟ أم أعاقبه اليوم خير من أن يقتله الناس غداً ؟ . . أو يحتضنه سجن الى الأبد ؟

ثم يصمت عزمي . وتستمر خديجه في بكائها الصامت ويغيب الاثنان في عالم الماضي . ويخوض كل منهما في ثنايا ذكريات زواجهما . ويتوقفان عند محطة المولود الأول « ســالم » . . حمداً لله على سلامتك ياخديجة . . حقاً لقد انجبت لي ساعداً قوياً سيعينني في معركة الحياة سأعطيه كل شيء . وسأعلمه احسن تعليم . سأجعله باذن الله رجلاً يعتمد عليه . . ولكن يا ابا سالم الحياة أمامنا . وقد ننجب غيره . هذا صحيح يا أم سالم ولكنني أتوسم في هذا المولود خيراً كثيراً . ويكبر الفتى . ويتابعه الأبوان بالحب والعطاء . باللين والدلال . وينحرف سالم . ويتفاقم انحرافه والأم تتستر عليه وتشجعه عن غير قصد . وفي ظنها انها تحميه . ويرزقهم الله بغيره اولاداً ثلاثة وبناتاً ثلاثاً . فيشعر عزمي بفداحة السكوت عن تصرفات ولده .

فالمسؤولية كبيرة . والأفواه جائعة . والحالة سيئة . فأخذ يضغط على ولده ليعمل ويتحمل معه العبء الثقيل الذي بدأ يرزح تحت نيره . ولكن الفتى المدلل ازداد شراسة وانحرافاً . فبدلا من ان يساعد والده على متطلبات الحياة التي لا ترحم . أخذ يجره في اتون مشاكله التي لا تنتهي . فضاق به والده ذرعاً . وقرر تأديبه بقسوة . ليعيده الى جادة الصواب . فهرب الفتى وتوارى في ضباب الليل الكثيف . ولكنه لم يفر من وجه ابيه اعتباطاً . بل كان يعلم تماماً الى اين يذهب . وفي أي مكان يستقر . فقفز جذلان من البيت غير ملتفت الى رجاء وتوسلات والدته التي حاولت بكل جهد ان توقفه عن الهروب . واتجه من ساعته الى بيت صديقه « عطية » الذي كان شقياً بكل ما في الكلمة من معنى مخلفاً وراءه والديه الحزينين في صراع وألم . ولم يكد يطل على صديقه عطية حتى احتضنه وبالغ في مدحه واثنى على فعلته . وأخذ الاثنان يتبادلان الحديث والشر يقطر من لسانيهما . واتفقا على ان يسرح سالم في السوق الغربي بينما يتابع عطية سرقاته في السوق الشرقي .

وتتابعت الأيام . وعطية وسالم لا يلتقيان الا في المساء. ليحصي كل واحد منهما ما اختطفه من قوت الآخرين . وذات يوم عاد سالم الى البيت حزيناً متألماً . فنظر اليه صديقه قائلاً : مالي أراك اليوم على غير عادتك . كأني بك لم تظفر بشيء . فرد عليه سالم بصوت يشوبه حزن ظاهر لا أدري ماذا أقول لك . انني لأول مرة منذ وعيت على الدنيا اشعر بالندم على عمل قمت به . فمنذ الساعة التي امتدت بها يدي واختطفت عشرة دنانير من يد امرأة مسكينة ما برحت صورتها وهي تتهاوى الى الأرض ماثلة أمام ناظري . وصدى صوتها يطن في اذني . . الدواء . . أريد الــدواء لابني المريض . .

سرقني المجرم . فنظر اليه عطية نظرة قاسية وقال له بجفاء وغلظة : ماذا دهاك . . هل جننت ؟ ان عملنا ليس فيه مكان للشفقة أو العطف . أو الضمير . ام تراك نسيت ؟ مرحباً يا عطف واهلاً يا شفقة . . ها . . ها . . ها . فنظر سالم الى صاحبه والاسى مرتسم على وجهه وقال بتكلف واضح : لا عليك الآن . . دعنا نخلد للراحة . وفي صباح اليوم التالي . لزم سالم البيت لشعوره بالاعياء والتعب . بينما سرح عطية كعادته . . ولكنه لم يغب طويلا فاستغرب سالم عودة صديقه فاستوضحه الأمر . فزم عطية شفتيه وقال له : لقد حدث معي اليوم أمر عجيب . . فقد تمكنت من نشل ثلاث محافظ في مكان واحد . وانزويت في ركن ما وفتحتها جميعاً فوجدت في الأولى خمسة عشر ديناراً . وفي الثانية ستة دنانير . أما المحفظة الثالثة فكان بها خمسة دنانير وقصاصة ورق . وصورة لك انت يا سالم فقفز سالم من السرير كمن لدغته افعى . . ماذا تقول صورة لي أنا ؟ أجل . . انظر . ويأخذ سالم الصورة ليتأكد منها ثم يتناول قصاصة الورق المرفقة بالصورة ليجد مكتوباً عليها الاسم : سالم عزمي . العمر : تسعة عشر عاماً . خرج من بيت والده قبل سنة ولم يعد . فالرجاء ممن يعرف عنه شيئاً الاتصال بوالده على العنوان التالي . . . ولم يكد سالم ينتهي من لفظ آخر حرف حتى انقض على على صاحبه وأمسك بتلابيبه وهزه بقوة وهو يصرخ . . تباً لك . . لقد سرقت والدي ايها السفيه . اخبرني اين وكيف والا . . . ولكن عطية لم يرد عليه لأنه كان منشغلاً في الانفكاك من قبضته الحديدية . ثم تراجع الى الوراء وهو يقول بتلعثم . . اتريد أن تقتلني . . ومــا يدريني انه والدك . على كل حال سأعيد المحفظة على الفور . فاقترب منه سالم وهو يقول بنبرات حزينة لا . . لا تعد

المحفظة . هناك طريقة اخرى قد تريح والدي أكثر . . فما دام والدي قد ضحى بالدنانير الخمسة التي أعتقد جازماً أنه لا يملك غيرها من أجل اعلان عن ضياعي ، فان سعادته الآن في نشر اعلانه ، فضحك عطية وقال ساخراً ولماذا لا تعود اليه بنفسك بدلاً من اعلان قد لا يفيده ابداً . . فرد عليه سالم بحزم . . اذهب الآن وانشر الاعلان . . اما انا فلن أعود لوالدي الا وانا أهل لتلك العودة .

وقضى سالم بعد ذلك قرابة اسبوعين طريح الفراش ، ثم نهض بنفس منشرحة ، ونية صافية ، وانطلق يبحث ويفتش عن عمل شريف يؤهله للعودة الى والديه اللذين ضحيا كثيراً من اجله واستاءا كثيراً من افعاله المشينة . فاهتدى الى احدى الورش الكبيرة لصناعة المفروشات والاثاث كانت قد نشرت اعلاناً عن حاجتها الى عامل نشيط . . فانخرط بحماس بين عمالها ، وعمل بجد وتفان ، حتى كسب مودة الجميع وتعلم بسرعة فنون المهنة . . وأخذ يدخر معظم راتبه الى ان تجمع لديه مبلغ محترم فاستقل بنفسه وأسس ورشة صغيرة سرعان ما نمت واتسعت وأصبحت تضاهي أكبر الورش في المدينة ، وأحسنها سمعة وعلق عليها يافطة كبيرة كتب عليها ، مؤسسة عزمي وولده سالم للمفروشات والأثاث .

وذات يوم وبينما كان يهم بمغادرة المؤسسة عائداً الى والديه ، اذا بصوت يناديه فالتفت ليجد امامه صديق الأمس عطية ، فابتسم له واحتضنه قائلاً على سبيل المزاح . . . هل جئت تسرقني يا عطية . . فتنهد عطية قائلاً : سامحك الله . . وهل يبقى الانسان على حاله . . الا ترى كم تغيرت انت ؟ فرد عليه سالم والفرحة تغمره . . ما اسعدني بما تقول . . ولكن قل لي ماذا تشتغل بعد ان تخليت عن . . . فقال عطية : الا تدعني أولاً أدخل لنسترسل في الحديث وبدلاً من أن يذهب الى والديه جلس سالم يستمع الى صديقه عطية وهو يسرد عليه هذه القصة : في صباح اليوم الذي غادرت انت فيه بيتي ، سرحت في السوق الغربي حيث كنت تسرح ، وكان الزحام يومها خفيفاً فتبعت رجلاً يحمل في يده حقيبة . . وتحينت فرصة مناسبة واختطفت الحقيبة بسرعة وأخذت اجري بأقصى سرعة ، ولكن الرجل بدلاً من أن يلاحقني أخذ يضحك بملء فيه . فتوقفت عن الجري وفتحت الحقيبة فوجدت فيها ثلاثة أكياس صغيرة مملوءة بالطحين . . فاصبت بخيبة أمل وأدركت لحظتها السر الكامن وراء ضحك الرجل فعدت اليه وقلت له : خذ حقيبتك فليس لي بها حاجة فضحك الرجل حتى كاد ينقلب على ظهره فازداد غيظي ووددت لو أبطش به . ولكنني اكتفيت بالنظر اليه بحنق . . ولما هممت بالانصراف . خاطبني بلهجة جادة : أنت شاب قوي . فما لك والسرقة ؟ اتريد أن تقضي ربيع شبابك في السجن؟ ابحث لك عن عمل شريف يجعلك محترماً في نظر الآخرين ، فقلت له باستخفاف : وماذا تراني سأشتغل ؟ فقال على الفور : تعمل عندي وقبل أن أرد عليه تابع قائلاً : الا ترى هذه الأكياس؟ انها عينات من الطحين ادور بها على المحلات التجارية ، وأعقد صفقات على العينات التي تناسب التاجر ، وانني اعرض هذا العمل عليك منذ الآن . ولا اكذبك يا صديقي لا أدري كيف جذبني ذلك الرجل . فقد سرت معه وكانني تحت مفعول مخدر قوي ، ومارست عملي دون نشاط في بادىء الامر . . ولكن الرجل والحق يقال أخلص معي ، وصبر عليَّ كثيراً ، حتى الفت العمل ، وتذوقت طعم الدنانير التي تفوح منها رائحة عرقي وجهدي فأخلصت له وتفانيت في خدمته فجعلني ساعده الأيمن في المطحنة . . على كل حال لقد عطلتك عن عملك ولكن قبل أن انسى قل لي هل عدت الى والديك ؟ فقال سالم بثقة واعتزاز لقد حان وقت العودة يا عطية . . اتدري اين كنت انوي الذهاب عندما استوقفتني ؟ كنت في طريقي اليهما . . ولكنني اخشى من المفاجاءات . فاقترح عطية أن يذهب هو يمهد الطريق ويستطلع الأمر فوافقه سالم وأخذ ينتظره على أحر من الجمر . وانطلق عطية كالريح والدنيا لا تسعه من الفرحة ووقف قبالة الباب الخشبي المتصدع ، ولسانه يلهج بالدعاء بان يجد كل شيء على ما يرام . . واقترب من الباب وطرقه عدة طرقات فانفتح عن امرأة نحيلة العود . ضعيفة الحال ، في عينيها حزن دفين . فقال لها بصوت متهدج . هل السيد عزمي موجود يا والدتي؟ فنظرت اليه ملياً قبل أن تجيبه . . انت لست ولدي – اعني انك مثل والدتي . . فنظرت اليه مرة اخرى ثم قالت بصوت ضعيف انه ليس هنا ولكن ماذا تريد منه . . اريده من أجل اعلان كان قد نشره في الصحف منذ تسع سنوات وهنا تذكرت المرأة الأعلان الذي نشر في الصحيفة بعد ضياع المحفظة التي تخص زوجها . وانفرط عقد سكونها الى نحيب وعويل ، وصرخت بصوت يفتت الأكباد هل جرى لولدي شيء؟ قل ولا تخف . انني صبورة . فقال لها عطية والدموع تنهمر من عينيه بغزارة . . ولدك بخير . . ارسلي في طلب زوجك حتى تكتمل فرحتكم . وترسل الأم . على عجل . أحد أولادها الى المقهى حيث يقضي عزمي بعض وقته فيقبل الأب ينهب الأرض نهباً . وحبات العرق مختلطة بدموع الفرح فوق خديه . ويحتضن عطية على انه ولده من فرط سعادته . . ويستمهلهم عطية قليلاً حتى تهدأ نفوسهم ثم يصحبهم الى حيث سالم ينتظر . وهناك يقف عزمي طويلاً أمام اليافطة والدموع تنساب من عينيه بينما دفن سالم وجهه في صدر والدته وسط غزارة الدموع وزغاريد الفرح ●

رفيق موسى عفانه – صفوى

الفحم الحجري

١



أصله - مكامنه - تعدينه تأثيره على البيئة - مستقبله تصنيفه - توزيعه العالمي

١ – الشاحنات تأخذ حمولتها من الفحم من موقع المنجم مباشرة .

٢ – مجرفة آلية ضخمة تعمل في منجم «روهايد» وتبلغ طاقتها نحو ٢٦ طناً من الفحم . وهي تدار من قبل فني يجلس في غرفة مكيفة بحيث لا يصله شيء من غبار الفحم .

مِنَ المصَادِر المهمّة المعرُوفةِ التي يُمكن الاعتماد عليها في توليدِ الطاقةِ في الأحوال الطّارئةِ النّاتجةِ عَن نقصِ الزيتِ الخامِ. ومَع انّه لايشكّل مُنافِساً للزيتِ ولا بديلاً كاملاً له ، إلا انّه يُعتَبر - وهوَ على حالتِهِ الراهِنة - مصدراً مُهمّاً مِن مصادِر توليدِ الطاقة الكهربائيّة التي تدير الكثيرَ من المصالح والمرافق العامّة والخاصّة . فماهوَ الفحم الحجريّ ؟ وأين يوجد ؟ وهَل يمكن تحويله إلى زيتٍ خامٍ أو غازٍ ؟ وماهي الامكانات المتوفرة حالياً لذلك ؛ ؟

٢





أصل الفحم

المعروف عن الفحم انه بقايا ورواسب نباتات واعشاب كانت تنمو في المناطق اليابسة والبحيرات الضحلة . والمستنقعات التي كانت تغطي مساحات واسعة من الأرض . فأتى عليها الدهر . قبل ملايين السنين . وطمرت بفعل العوامل الطبيعية . فتآكلت وتلفت وتحللت وامتزجت مع ما حولها وتحولت الى اول درجات الفحم وهو الخث — Peat . ومع الزمن زاد الضغط والحرارة عليها تدريجياً فتماسكت . بعد ان كانت رخوة نسبياً . وبالتالي تحجرت وتحول الخث الى فحم حجري .

هناك عوامل رئيسية طرأت على الفحم في مختلف العصور واثرت على نوعه وجودته ومكامنه في مختلف ارجاء العالم . ومن هذه العوامل :

● **الحالات التي تجمعت فيها بقايا النباتات وطمرت واستحالت بالتالي الى خث .**

● **عمر هذه البقايا والمخلفات ، أو الرواسب ، وتوزيعها الجغرافي .**

● **التركيب المادي للنباتات التي تشكل الفحم منها ، ومدى تأثير هذا التركيب في مقاومة التلف .**

● **التركيب الكيماوي للرواسب والمخلفات وقدرته على مقاومة البلاء**

● **طبيعة العوامل المسببة للتآكل وشدتها وكثرتها .**

ان هذه العوامل وغيرها من العوامل الجيولوجية والبيئية والمناخية هي التي تقرر صفات الفحم وخصائصه وطاقته الحرارية .

وللتعرف الى النباتات المكونة للفحم في منطقة ما . يقوم العلماء بدراسة النباتات المتحجرة في الطبقات الأرضية الواقعة فوق طبقة الفحم وتحتها . ومن هذه الاحافير والمستحاثات يمكن الاستدلال على نوع النباتات التي تشكل الفحم منها . ويقول العلماء انهم . بوسائلهم الخاصة . وفي بعض الحالات يستطيعون التأكد من تركيب النباتات الدارسة كما لو كانوا يجرون ابحاثهم على نباتات لا تزال قائمة في ايامنا هذه .

مكامن الفحم

يختلف سمك طبقات الفحم بين منطقة واخرى ومنجم وآخر . ومنها ما لا يصل سمكها الى بوصة واحدة . ومنها ما يربو سمكها على ثلاثين متراً . غير ان عرق الفحم في معظم المناجم التي تلي سطح الأرض يتراوح بين ثلاثة ارباع المتر ومترين ونصف المتر .

والفحم . كما اسلفنا، انواع . افضلها هو أكثرها انتاجاً للوحدات الحرارية — British Thermal Units ويمكن تصنيف الفحم الى اربعة اصناف رئيسية :

اولها المسمى انثراسايت — Anthracite . وهو فحم صلب ذو طاقة حرارية عالية بالنسبة لغيره من الأنواع اذ تبلغ حوالي ١٣٠٠٠ وحدة حرارية (BTU) للرطل الواحد (الرطل يساوي ٤٥٤ غراماً) . وتقدر نسبة الموجود من هذا النوع في الولايات المتحدة الامريكية باثنين في المئة من مجموع موجودات الفحم في تلك البلاد .

ويأتي في المرتبة الثانية النوع المسمى « بتومينس — Bituminous وهو أكثر أنواع الفحم توفراً . ويستخرج حوالي ٤٠ في المئة من هذا النوع من مناجم قريبة من سطح الأرض . وهو أكثر انواع الفحم استخداماً في المعامل التي تستعمل البخار لتوليد الطاقة الكهربائية . ومنه يمكن انتاج الغاز والزيت الخام الخفيف وبعض المواد الكيماوية . أما طاقته الحرارية فتتراوح بين ١٠٠٠٠ و ١٣٠٠٠ وحدة حرارية للرطل الواحد .

وبعد هذا في الجودة يأتي شبيه له يدعى Sub Bituminous وتبلغ طاقته ٨٠٠٠ وحده حرارية للرطل الواحد . ويستخدم لتوليد الكهرباء واغراض التدفئة عامة .

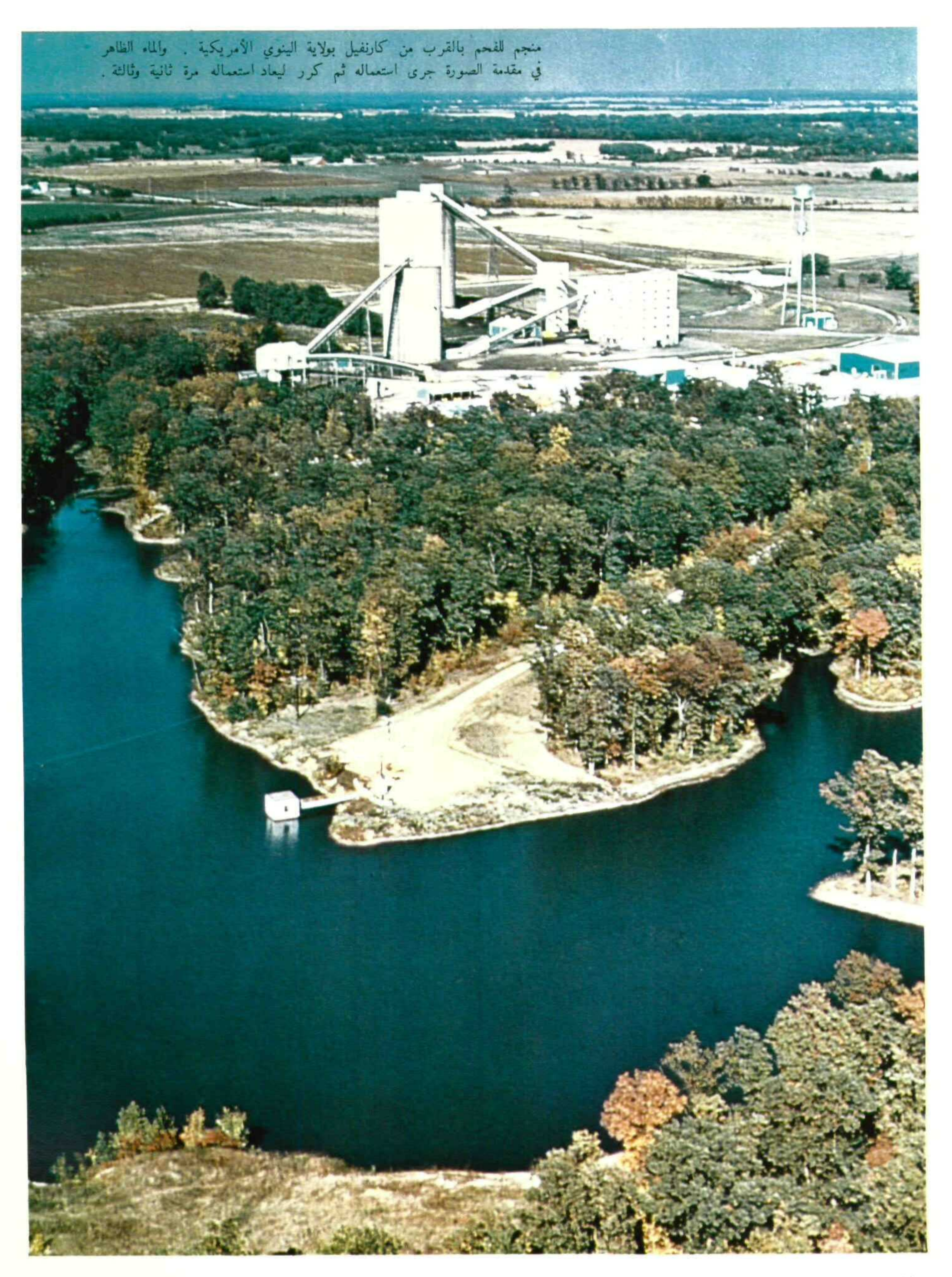
أما النوع الرابع فهو المسمى لجنايت — Lignite وهو أقل الأنواع الأربعة انتاجاً للحرارة اذ تبلغ طاقته ٦٠٠٠ وحدة حرارية للرطل الواحد . ويستخدم في انتاج البخار اللازم لتوليد الكهرباء . وهو أيضاً كالأنواع الأخرى ، يمكن تحويله الى غاز اصطناعي ليستعمل كوقود او لقيم لانتاج بعض المواد الكيماوية .

التعدين

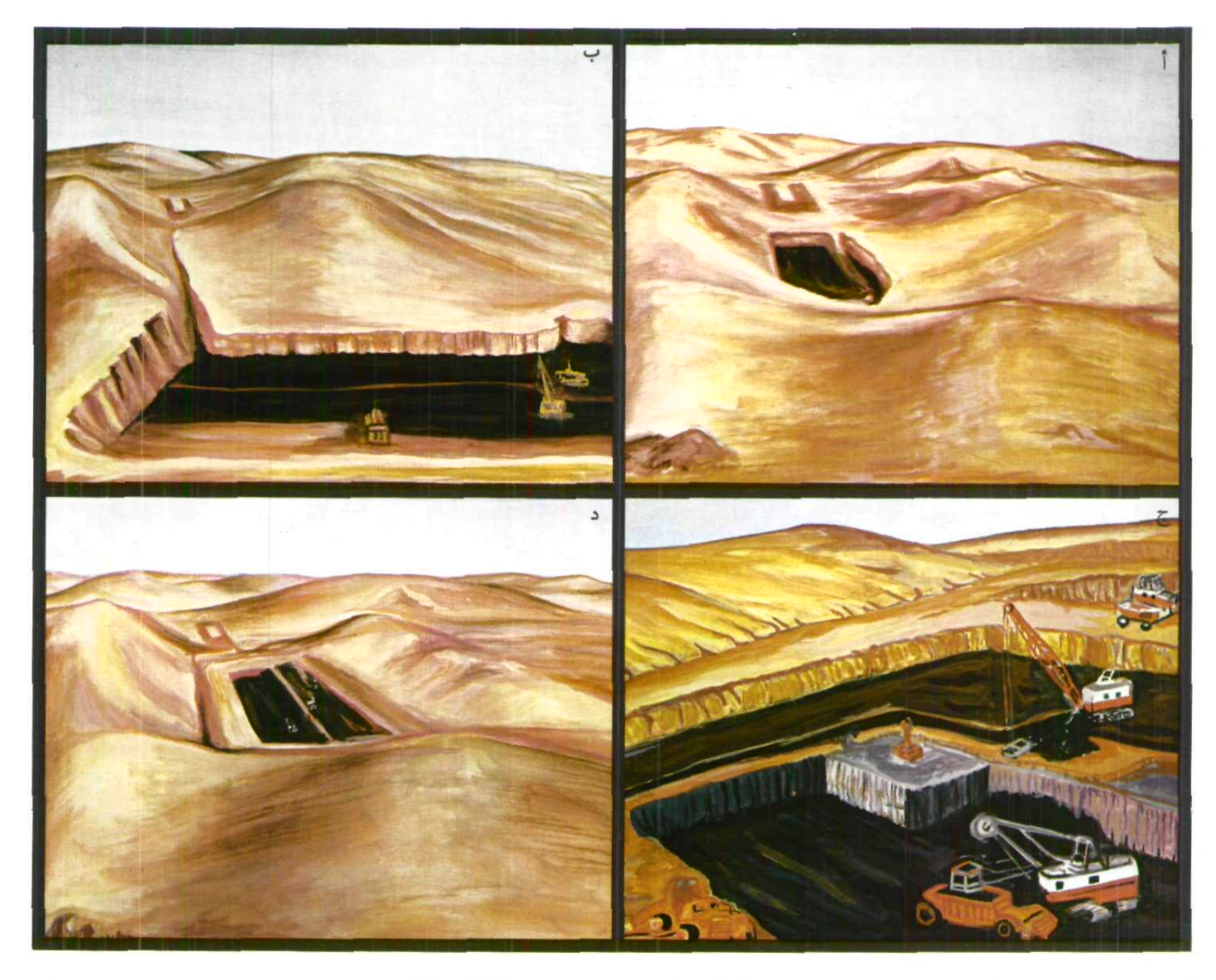
هناك عدة عوامل تؤخذ بعين الاعتبار لتحديد كيفية تعدين الفحم واستخراجه ، منها أمور البيئة والحياة الاجتماعية . ووفرة الفحم وتكاليف الانتاج والنقل والأسعار والوسائل التقنية المتوفرة والعوامل الطبيعية التي قد تؤثر على سير العمل ، وكذلك موقع المنجم وقربه او بعده من السوق الاستهلاكية ، وعمقه من سطح الأرض ونوعه وسمك طبقته ونسبة محتوياته من الكبريت وطاقته الحرارية وغير ذلك .

فمثلاً يحتوي النوعان المسميان بتومينس وانثراسيت — والمعروفان بطاقتهما الحرارية العالية . على نسبة مرتفعة من الكبريت بمقارنتهما مع الأنواع الأخرى الاقل حرارة والتي يمكن استخدامها مباشرة بعد استخراجها دون ان تخل بالأنظمة المحددة للحفاظ على نظافة البيئة والحيلولة دون تلوثها . كما ان حاجة بعض الأنواع لازالة الكبريت منها قد تزيد في تكاليف انتاجها وسعرها الأمر الذي قد يجعل المستهلكين يميلون الى الأنواع الأقل كلفة ما دامت تفي بحاجاتهم .

ولعل من أهم الأسباب التي تدعو بعض الدول الى انتاج الفحم واستخراجه هو توفره في اراضيها من ناحية ، ورغبتها في ايجاد مصدر محلي لانتاج الطاقة تعتمد عليه في الأحوال الطارئة اذا كانت من البلدان المستوردة للزيت . هذا مع العلم بأن الزيت يمتاز على الفحم بأنه أسهل انتاجاً ونقلاً واستعمالاً . وان استخدامه انظف للهواء وللبيئة الطبيعية ، سواء كانت ارضاً زراعية او مراعي او صحارى جرداء



منجم للفحم بالقرب من كارنفيل بولاية الينوي الأمريكية . والماء الظاهر في مقدمة الصورة جرى استعماله ثم كرر ليعاد استعماله مرة ثانية وثالثة .



أ – تحفر فتحة في الأرض فوق المنجم مباشرة وتعمق الى ان يظهر الفحم .

ب – توسع الفتحة ، او الحفرة ، بحيث تتسع لاستيعاب معدات استخراج الفحم ونقله .

ج – الجرافات والرافعات والشاحنات تقوم بالأعمال المخصصة لها بشكل منتظم وفي سلسلة عمل متصل .

د – تسير عملية استخراج الفحم واستصلاح الارض في وقت واحد . فما ان يتم استخراج الفحم حتى يطمر المكان ويسوّى السطح ، بينما اعمال التعدين قائمة في الجهة المقابلة .

ناهيك عن أن الزيت لا يزال افضل واقل تكلفة اذا ما قارنا مقدار الطاقة التي ينتجها برميل الزيت الخام العادي بسعره الحالي مع الطاقة التي ينتجها برميل الخام المستخرج من الفحم بتكاليفه الحالية ايضاً . وقد ينافس الفحم الزيت الخام في بعض المجالات وخاصة في توليد الطاقة الكهربائية وعندما يكون المنجم قريباً من المعمل . وكذلك في صناعة الصلب التي تستهلك كميات كبيرة من الفحم .

ولقد مرت صناعة الفحم بفترة ركود بُعَيد الحرب العالمية الثانية . وصارت الدول الصناعية تعتمد على الزيت والغاز لتوفرهما في السوق العالمية ورخص اسعارهما . لكن تزايد الطلب على الزيت والخشية من نضوب بعض مصادره والتطورات الدولية المفاجئة . جعلت البلدان اكثر حرصاً على الزيت سواء في ذلك المنتجة له والمستهلكة . وخلال السنوات الثلاثين الماضية تطورت وسائل انتاج الفحم ونقله واستعماله . واستطاعت التقنية الحديثة التغلب على كثير من أسباب التلوث الناجمة عنه . وصار استعماله في معامل توليد الطاقة الكهربائية ، سواء للمرافق العامة او للمصانع ، عملية مأمونة . كما استحدثت أساليب لانتاج وقود اصطناعي منه ، سائل وغازي ، شبيهين بالزيت الخام العادي والغاز الطبيعي .

تأثير التعدين على البيئة

من أهم الأمور التي تراعيها شركات انتاج الفحم المحافظة على الأرض الزراعية وابقاؤها صالحة كما هي او تحسين حالتها وتطويرها الى الأفضل . والمحافظة على نظافة مياه الانهار والجداول والبحيرات القريبة من المناجم وكذلك الحيلولة دون تلوث الجو والهواء وبالغبار والسخام وغير ذلك من المواد .

ولذلك تعمل الشركات على استخدام اقل مساحة ممكنة من الأرض . وما ان تنتهي من استغلالها حتى تعيدها الى ما كانت عليه من قبل . ففي منجم روهايد — Rawhide . وهو أحد المناجم الضخمة في الولايات المتحدة الأمريكية يستخدم فقط ٨٠ فداناً من الأرض علماً بأن سمك طبقة الفحم في ذلك المنجم تصل الى مئة قدم — وهذا طبعاً يساعد على الانتاج الكبير من منطقة ضيقة . ومع ان استصلاح الارض كلياً لا يكتمل الا بعد مضي خمسة اعوام الا ان الأسلوب المتبع هو عدم تعطيل اكثر من ٤٠٠ فدان في وقت واحد .

أما في المناجم السطحية فالأمر يختلف قليلاً حيث يبدأ العمل بحفر حفرة في سطح الأرض توصل الى الطبقة الحاملة للفحم وذلك بازالة التراب السطحي وجمعه في احدى الجهات ، ثم توسيع الحفرة لتستوعب المعدات اللازمة للانتاج من شاحنات وجرافات ورافعات وما شابه ذلك . وبعد استخراج الفحم من المنطقة المكشوفة تأخذ بعض الجرافات بحفر موقع اخر بينما تقوم جرافات اخرى بطمر الأرض التي تم استخراج الفحم منها وتمهيدها وفرش سطحها بالتربة السطحية الاصيلة التي طرحت جانباً من قبل . ثم ترش تلك الأرض بالأسمدة والبذور وتروى بالماء لتعود بعد اسابيع خضراء كما كانت .

تحتاج مناجم الفحم الى كميات



مصباح انذار يستعمله العاملون في المناجم ، وطول شعلته ينبههم الى وجود غاز الميثان في المنجم .

كبيرة من المياه لغسله وتسكين غباره المتطاير وغير ذلك . وهذه المياه تجري تصفيتها وتنقيتها واعادة استعمالها بأقل قدر ممكن من التلوث . واذا كان لا بد من اعادة بعضها الى مصادرها الأولية ، كالأنهار مثلاً . فانها في هذه الحالة تكرر وتصفى الى الحد الذي تفرضه السلطات ذات الشأن حتى لا تنتج ضرراً ولا تشكل خطراً .

وكذلك تهتم شركات انتاج الفحم بمراقبة التلوث في الجو ، ومن أجل الحفاظ على نظافة الهواء تقام حواجز تمنع تسرب الغبار خارج المناجم سواء كانت تلك المناجم سطحية ام عميقة . أما الشوائب المتبقية فيتم التخلص منها اما بطمرها او بنقلها الى اماكن جمع القمامة .

وغالباً ما تزود المناجم العميقة بمخارج ومنافذ للعاملين ولضخ الهواء النقي فيها . كما يرش الفحم بمسحوق الجير ليمنع تطاير الغبار في الجو . أو بماء معالج بمواد كيماوية يخمده فلا يرتفع في الهواء وقد تستعمل بعض الشركات أجهزة خاصة تشفط غبار الفحم من مواقع العمل .

مستقبل الفحم

يتوقع ان يزداد الاعتماد على الفحم في مجال توليد الطاقة في نهاية القرن الحالي نظراً للانخفاض المتوقع في انتاج الزيت . وتقول احدى الشركات الكبيره في انتاج الطاقة في الولايات المتحدة الامريكية ، ان انتاج تلك البلاد سيزداد بمعدل ستة في المئة سنوياً ، فيرتفع من حوالي ٦٧٠ مليون طن في عام ١٩٧٦ الى ١.٥ بليون طن بحلول عام ١٩٩٠ . وسيكون معظم استعمال هذه الكميات الضخمة في مجال توليد الطاقة الكهربائية وتوليد البخار . وتتوقع تلك الشركة ان يصبح بالامكان قيام صناعات جديدة تعتمد على الوقود الاصطناعي المستخرج من الفحم بحلول عام ٢٠٠٠ م .

ويقول الخبراء في تلك الشركة بأن مضاعفة الانتاج خلال السنوات الاحدى عشرة القادمة ليس بالأمر السهل . اذ ان هناك عوامل كثيرة تتحكم في ذلك . منها :

* ايجاد ٢٠٠ منجم من الفحم يكون معدل انتاج كل منها حوالي خمسة ملايين طن سنوياً ، هذا مع العلم بأن أكبر منجم جوفي منتج للفحم في الولايات المتحدة الامريكية ينتج ما يزيد قليلاً على اربعة ملايين طن سنوياً . أما أكبر منجم سطحي فينتج نحو عشرة ملايين طن سنوياً .

* توفير ٤٠٠٠ آلة تعدين جوفية و ٢٦٠٠ وحدة قطارات وصنع هذه

المعدات ممكن في حدود طاقة الشركات الصانعة ، لكن عملية التصنيع تحتاج الى تخطيط وتنظيم .

* لتشغيل الأجهزة والمعدات الآنفة الذكر يلزم مضاعفة الأيدي العامله . وتبلغ حالياً ٢٢٥٠٠٠ عامل لتصبح في عام ١٩٨٥ حوالي ٤٣٠٠٠٠ عامل ، آخذين في الاعتبار تقاعد عدد من العمال والفنيين الحاليين المشمولين بالعدد الحالي .

* احتمال قيام مشاريع جديدة لانتاج وقود اصطناعي ، غازي او سائل ، من الفحم . وهذا امر يحتاج الى تخطيط وتصميم وانشاء نحو عشرة معامل ضخمة وتوفير ما يلزم لها من خبراء وفنيين .

* توفير الأموال اللازمة لذلك ، وتقدر بين ٦٠ و ٧٠ بليون دولار ، يضاف اليها حوالي ٢٥ بليون دولار لاقامة مرافق لتصنيع الوقود الاصطناعي المتوقع من الفحم .

ولقد وضعت هذه التقديرات تمشياً مع الاحوال الاقتصادية السائدة اليوم ، وعلى الأمل الا تقوم عوائق اجتماعية او بيئية او تقنية تحول دون ذلك . اما اذا طرأت احوال اقتصادية مفاجئة أو حصل تضخم ، غير مرتقب ، في الأسعار فان الأمر سيتغير بطبيعة الحال .

التصنيع

ان الباحث في مجالات انتاج الطاقة يجد ان لشركات الزيت يداً طولى في مجال انتاج الفحم في الولايات المتحدة الأمريكية . فشركات الزيت هنـــاك وشركات انتاج الفحم المتفرعة عنها تملك حوالي ٢٤ في المئة من احتياطي تلك البلاد من الفحم بمختلف انواعه ، كما انها تنتج حوالي ٢١ في المئة من مجموع الانتاج في الولايات المتحدة ايضاً . وتحوّل شركات الزيت لانتاج وقود من الفحم – غازي او سائل – امر معقول نظراً لخبرتها الكبيرة في مجالات انتاج الطاقة . ولا شك ان صناعة الفحم ستستفيد من صناعة الزيت وتقدمها ؛ كما ان صناعة الزيت توفر جزءاً مهماً من المال اللازم لتطوير مصادر انتاج الفحم وتحويله الى وقـــود سائل في المستقبل .

ومع ذلك فهناك فترة من الزمن لا بد من ان تمر بين التفكير في انتاج الفحم واستخدامه . وتقدر هذه الفترة بين خمس وسبع سنوات ، اعتباراً من بدء الاستثمار وتجميع المعلومات عن المناجم ومعرفة حجمها وطاقتها ونوع الفحم الموجود فيها وانشاء المجمع اللازم لها .

فقبل اقامة معمل ، يدار بالفحم ، لانتاج الطاقة الكهربائية لا بد من توفر ذلك النوع من الفحم المقرر استخدامه . فالفحم ، كما ذكرنا من قبل ، على أنواع . وبناء على هذا فان المرافق المقرر لها ان تعمل بالفحم ويبدأ تشغيلها في عام ١٩٨٥ يجب أن يكون قد بدىء فعلاً بالتخطيط لها في السنة الماضية او ان يبدأ التخطيط في السنة الحالية على الأقل .

وقد بدأت مجموعة من الشركات باقامة مشروع لانتاج وقود اصطناعي سائل من الفحم يكلف حوالي ٢٤٠ مليون دولار ويتوقع ان تتم اعمال الانشاء خلال العام القادم . ويشتمل هذا المشروع على انشاء معمل تجريبي طاقته اليومية ٢٥٠ طناً من الفحم ، وقد اقيم المشروع بالقرب من مدينـــة « بيتـــاون » في ولاية تكساس الامريكية . والغاية منه اجراء ابحاث ودراسات متكاملة للحصول على معلومات موثوق بها لاقامة معامل على نطاق تجاري . فاذا ما جاءت النتائج مشجعة فانه قد تبدأ اقامه معمل رائـــد ليكون جاهـــزاً للعمل في أواسط الثمانينات . وهذا المشروع يحتاج الى حوالي ١،٥ بليون دولار وبطبيعة الحال فان نجاح هذا المعمل الرائد سيقود الى اقامة معامل تجارية اخرى افضل واضخم في التسعينات من القرن الحالي .

وقد توصلت احدى الشركات الى ايجاد اسلوب جديد لانتاج غاز الميثان النقي من الفحم في مفاعل واحد فقط . وهذا الاسلوب اجدى اقتصادياً مما لو تمت العملية في مفاعلين وعلى خطوتين منفصلتين – انتاج الغاز ثم انتاج الميثان – وقد تم التوصل الى هذا الأسلوب بعد نحو عشر سنوات من الأبحاث على وسائل تحويل الفحم الى غاز في مختبرات الشركة ومعاملها . ويمكن ان يبدأ تشغيل المعامل التي تقوم على هذا الأسلوب في التسعينات من القرن الحالي .

ويجب أن لا يغرب عن البال ان المعمل الواحد من هذا النوع يحتاج الى بضعة بلايين من الدولارات لاقامته وانشائه وتشغيله . في حين ان طاقته ستكون في حدود ١٥٠٠٠ طن من الفحم يومياً تتحول بالتالي الى ٢٥٠ مليون قدم مكعب من الغاز .

وهناك شركة تقوم باجراء أبحاث ترتكز على اسلوبين منفصلين لتنقية غاز الفحم من مواد التلوث ويقضي الأسلوب الاول بحرق الفحم في سائل جيري ، فيمتص الجير معظم مركبات الكبريت . بينما يقضي الاسلوب الاخر بتسييل الفحم والجير لانتاج غاز حار يستخدم كوقود لتسخين ماء المراجل العادية . وهذان الاسلوبان مناسبان لدى الرغبة في تحويل المعامل التي تدار بالغاز الطبيعي حالياً ، لكي تعمل بالغاز الاصطناعي المستخرج من الفحم ، وهذا الأسلوب مقبول من الناحية البيئية .

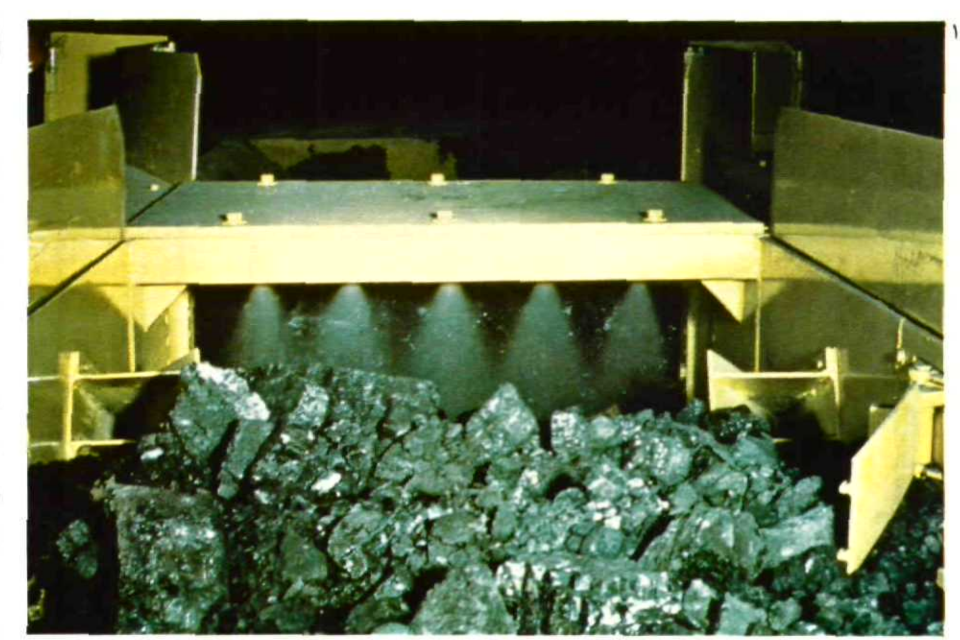
وتحاول احدى الشركات استخدام الفحم كوقود لاحد معامل تكرير الخام التابعة لها وذلك من اجل توفير الغاز والزيت الطبيعيين اللذين يمكن استخدامهما كلقيم لبعض الصناعات الكيماوية . كما تأمل بعض الشركات في استخدام الزيت المستخرج من الفحم ايضاً في بعض الصناعات الكيماوية اذا ما أمكن التغلب على بعض الصعوبات الفنية القائمة .

التوزيع العالميّ للفحم

الاحتياطي : يقدر الاحتياطي العالمي من الفحم ، في الوقت الحاضر بحوالي ٦٥٢ بليون طن . وهذا الاحتياطي يمكن استخراجه بوسائل التعدين المستعملة حالياً . ويوجد من هذا الاحتياطي في الولايات المتحدة الامريكية حوالي ٣١ في المئة ، وفي الاتحاد السوفييتي ٢٣ في المئة ، وفي بلدان اوروبا الغربية ١٨ في المئة ، وفي الصين ١٤ في المئة ، والباقي وقدره ١٤ في المئة موزع على مختلف اقطار العالم .

الانتاج : استخرج من الفحم في عام ١٩٧٤ حوالي ٣١٧٠ مليون طن ، انتجت الصين والاتحاد السوفييتي نحو ٦٠ في المئة منها ، اما الاربعون في المئة الباقية وقدرها ١٢٦٨ مليون طن فموزعة بين مختلف اقطار العالم الأخرى . وتستهلك الصين جميع انتاجها ، أما الاتحاد السوفييتي فيصدر نحو ١١ مليون طن سنوياً ، ومعظم تصديره الى اوروبا واليابان .

١



٢

٣



١ – يرش الفحم بالماء المعالج ببعض المواد الكيماوية ليمنع تطاير الغبار منه قبيل نقله على الحزام الجرار .

٢ – حاجز لمنع تسرب الغبار اثناء نقل الفحم على الحزام الخاص في احد المناجم الضخمة .

٣ – تزرع الأراضي التي استخرج الفحم منها وتم طمرها بالتراب بنباتات سريعة النمو تحفظ التربة من التعرية .

وغالباً ما تتوقف زيادة الانتاج على زيادة الطلب ، علماً بأن الانتاج قد زاد نسبياً باستخدام المعـدات الحديثة الضخمة غير أن هناك نقطة مهمة لا يغفل عنها المسؤولون عن الانتاج وهي ضرورة تسويق تلك الكميات الضخمة وبيعها وهي لا تزال في المنجم – اي قبل استخراجها ونقلها الى مرافق الاستهلاك الكبيرة كمصانع الصلب ومرافق توليد الكهرباء لان ايجاد مخازن لهذه الكميات على كثرتها أمر صعب ، كما ان تركها في العراء قرب مواقع الاستهلاك يشكل مصدراً لتلوث البيئة والهواء من حولها ، وهو أمر غير مرغوب فيه ●

إبراهيم أحمد الشنطي/ هيئة التحرير



البلدان العشر الاولى في انتاج الفحم باستثناء روسيا والصين

(بملايين الأطنان المترية)

البلد	١٩٧١	١٩٧٢	١٩٧٣	١٩٧٤	١٩٧٥
الولايات المتحدة الأمريكية	٥٠٩	٥٤٣	٥٤٣	٥٥٣	٥٨٦
المانيا الغربية	٢١٥	٢١٩	٢١٦	٢٢١	٢١٦
المملكة المتحدة	١٥٠	١٢٢	١٣٢	١١٠	١٢٩
استراليا	٧٣	٧٧	٨٥	٩١	٩٢
الهند	٧٢	٧٥	٧٧	٨٣	٩٠
جنوب افريقيا	٥٩	٥٨	٦٣	٦٥	٦٨
فرنسا	٣٦	٣٣	٢٩	٢٦	٢٦
اليابان	٣٣	٢٨	٢٢	٢٠	١٩
كندا	١٧	١٩	٢١	٢١	٢٥
كوريا الجنوبية	١٣	١٢	١٤	١٥	١٣

تقديرات انتاج الفحم من ١٩٧٦-١٩٨٠ للدول العشر الأولى- باستثناء روسيا والصين

(بملايين الأطنان المترية)

البلد	١٩٧٦	١٩٧٧	١٩٧٨	١٩٧٩	١٩٨٠
الولايات المتحدة الأمريكية	٦٢٠	٦٥٠	٦٧٠	٧٠٠	٧٣٠
المانيا الغربية	٢١٥	٢١٥	٢١٥	٢١٥	٢١٥
المملكة المتحدة	١٢٩	١٢٩	١٢٩	١٢٩	١٢٩
الهند	١٠٠	١١٠	١٢٠	١٣٠	١٣٥
استراليا	٩٨	١٠٤	١١٠	١١٦	١٢٢
جنوب افريقيا	٧٠	٧٢	٧٤	٧٦	٧٨
فرنسا	٢٥	٢٤	٢٣	٢٣	٢٣
كندا	٢٧	٢٩	٣١	٣٤	٣٧
اليابان	٢٠	٢٠	٢٠	٢٠	٢٠
كوريا الجنوبية	١٤	١٥	١٦	١٦	١٦

أنشودة للإنسان الجديد

للشاعر: محمد فهمي سند

الأغـاني لحونهـا عبقرية ... والأماني على الشفاه حييّة
وضلوع الثرى تمور وتهمي ... في جذور عروقها طفلية
ونسيم الصباح كلمة حب ... بذرتها شفاهه الوردية
كان يعدو ودربه يتوارى ... بحروف من الدماء شقية
وصدى طلقة مع الريح تحكي ... ان ذنبا من الذنوب العصية
ناح في الكون فانطوى الحب فيه ... ثم اغفى كقصة دموية
وبقايا حكاية صلبوها ... كحطام على شفاه صبية
طفلة ترضع الحياة نشيداً ... عزفته زهورها السّوسنية
تحضن الفجر في ضلوع حنين ... مزّقتها رصاصة همجية
ثم ماتت وعربدت ولولات ... حافرات مع المساء وصية
« لن تعيش المنى الرحيبة الا ... بسلام وغنوة أزلية »

° ° °

أيها الانسان المؤرق مثلي ... هات كفّيك تلتقي بيديّه
هات كل الدموع تغسلْ جراحي ... ثم صافح معي الحياة الرضيّة
واقذف الحقد للظلام ودعه ... واقبض النور بالقلوب الظميّة
وارحم الحب ان يضيع ويغفو ... في شرود على ربا المدنيه
فاذا سرت في الدروب الحيارى ... سترى ألف حفرة دموية
صار فيها الانسان وحشاً يوارى ... في جحود حياة كل البريّة
وكأن الاله ليس يراهم ... فتعاموا عن الدروب السويه
وكأن الحياة سهل قطيع ... فاذا هم ذئابها الآدمية

° ° °



يا دعاة الحروب في الارض مهلاً ... قد وأدتم بكوننا الحرية
وصفعتم نهارنا بمساء ... من قلوب حياتها عدمية
قد غرستم بصدرنا جذر حقد ... كان أجدى لو الغراس تحيّة
نحن ابناء خفقة من حنين ... سكبتها حقيقة علويّه
فلماذا (ونحن اخوة حب) ... نحمل الحقد في القلوب الحيّة ؟
ولماذا (والانبياء جميعا) ... يزرعون السلام للأبدية ؟
نزرع الخوف في الدروب ونشقى ... بحروب سماتها بربريّة
ويك يا ايها الشقيق تمهل ... وانظر الحب في القلوب الظميّة
كلنا في فم الوجود نشيد ... تتغنى به الحياة النقية
كلنا اخوة نسير ونغفو ... آخر العمر في قبور قصية
ربما كفك الشريدة تهوى ... فوق كفي بألفة طفلية
ربما نامت الضلوع وحنّت ... لضلوعي ، وزغردت أغنيّة
ربما اشرق الصباح علينا ... والأيادي الى السماء نديّة
تشهق الاضواء الرحيبة فيها ... كي تروّى قلوبنا الشاعرية
بنشيد على رباب صفاء ... يترامى بمسمع البشرية

° ° °

أنت قلب معطر بدمائي ... ليس للبغض في الحياة بقيّة
كلنا كلمة تهيم وتشدو ... في عناق على الربا السوسنية
« لن تعيش المنى الرحيبة الا ... في سلام وضمّة أخوية »
« فالحياة ابتسامة معطاء ... نحن فيها اللحون غنّت شجية »



مغامرة الحداثة عند القاص السعودي محمد علوان

عرض وتعليق: الاستاذ نبيه شعار

لن نخرج عن الحقيقة اذا ذهبنا الى أن القصة السعودية القصيرة لم تأخذ حيزاً لها تؤدي عليه دورها، ضمن حركة القصة العربية التقليدية، لأسباب. وقد لا يكون مثل مقالنا القصير هذا، ميداناً للاعراب عن أسبابها تلك. غير أنه من الصواب القول بأن الابداع القصصي السعودي، الى جانب ذلك قد قفز قفزاً نحو اتجاهات أكثر حداثة في مجال تقنية القصة خلال السنوات القليلة الماضية. حتى لقد أصبح في مُكنة الناقد، القول بأن ثلاثين سنه او أكثر من النمطية والتقليدية التي غلفت فن القصّ السعودي، قد جاء أخيراً من يحركها بثقة، ويخرجها الى مجال أوسع نطاقاً فيوسع دائرة المقبلين عليها — عبر جِدّة التناول والطرح — ويسمح من ثم، بالمجاهرة بقصة سعودية تنتمي الى شكل وروح العصر الحالي، بتحررها من الأسلوب التقليدي القديم، مع اتخاذها سمة القصة القصيرة، بمفهومها المعاصر (١).

ربما كانت أسباب هذا الاتجاه الجديد، اطلاع الكتّاب أنفسهم على الانماط القصصية العربيـة والأجنبية الحديثة. وربما كانت تألقات خاصة. وربما كانت من مستلزمات أسلوبي الرمز والتجديد... وربما كانت معاً هذه الافتراضات الثلاثة... غير أن المهم، في تقديرنا، أن كتاباً سعوديين أمثال: جبير المليحان، ومحمد علوان وفهد الخليوي وعبدالله السالمي وعبد العزيز مشري، قد رضوا لأنفسهم ارتياد جبل المغامرة. مغامرة الحداثة في الشكل وفي المحتوى وفي النتيجة. ومن حيث الدقة في انتقاء الشريحة الحياتية المتناولة. ومن حيث فهم طبيعة الدور الذي يجب أن يلعبه الفن القصصي على الصعيد الحياتي، من زاوية التسجيل وزاوية الحض على تغيير السلبيات المسجلة في الوقت نفسه..

ويبدو أن التوصل الى تلك الدقة في اختيار الموضوع، والى فهم دور القصة، هو ما كانت تحتاجه القصة السعودية، منذ بواكيرها في اربعينات القرن الحالي، كي تدخل نادي القصة العربية لا أن تبقى الثلاثين سنة الطوال أسيرة الفردية.. فردية البيئة، وفردية الكاتب.

وبعد،

فلنعتبر الأسطر السابقة مدخلاً الى استبانة جوانب الحداثة عند أحد مغامري الحداثة القصصية السعودية، محمد علوان.

قراءة «محمد علوان» في مجموعته القصصية «الخبز والصمت»(٢) توقفنا على تلميذ نجيب في مدرسة طارحي العديد من الاصداف جانباً بحثاً عن لؤلؤة واحدة، كي يعمد الى تنظيفها مـن شوائبها وتقديمها الى محبي الجمال. واذن، فهو يلغي الجزئيات غير المفيدة. يكتفي فقط بالجزء الذي يمثل القاسم المشترك للمسألة التي يتناولها.

من هنا نلاحظ اعتناءه البادي بأن لا يكون لقصته عـدد كلمات محدد. أيضاً هو يسمح للقصة أن تختار ليس طولها فحسب، بل الشكل التي تحب أن تقدم نفسها به، ثم تخرج لا ليستوعبها القارىء بل لتستوعب هي قارئها تأخذه القصة الى الذرى أو القيعان التي تريد له أن يذهب اليها.

وحيث كانت كل من السردية والتقريرية قد مكنت — كل منهما — القارىء من الأمساك بالعمل القصصي عندما يريد وبالكيفية التي يريد. فان القصة الحديثة، من حيث هي رد متمرد على السردية وعلى التقريرية، بالفجاءة،

قد قامت ، في واقع الأمر ، بعلمية تبادل مواقع بينها وبين القارىء .

هذا تماماً ، ما تقدم المثال عليه : مجموعة « الخبز والصمت » في غالبية قصصها . فمحمد علوان يهدم النظام السردي . بديله في هذا الهدم : تعامل جديد بين الابداع والكلمة — أداته — من جهة ، وبين القارىء من جهة مقابلة .

سبق للفيلسوف سقراط أن نعى على العارفين معرفتهم لدى اختراع الابجدية. ردد ان انتشار الأبجدية سيؤدي الى الى انتشار النسيان بين المتعلمين شفاهاً . لأنهم — اذ ذاك — سيكفّون عن استعمال الذاكرة ، فيما كان يقدر . حجته في هذا ، كان يقول أن هؤلاء سيضعون ثقتهم في الحروف المرئية ، فيسجلون بها معارفهم بدل حفظها . وتكون المحصلة شعورهم بامتلاك قدر كبير من المعرفة الا انهم في حقيقة الأمر لا يعرفون شيئاً .

قد يفهم سردنا لرأي الفيلسوف سقراط ، من قبيل المحاباة لموضوع أصغر كثيراً من مقولة الفيلسوف . غير أن استذكارنا لها ربما يجعلنا نقرّب الى ذهن القارىء ما ذهبنا اليه ، من أن القصة في « الخبز والصمت » هي حاله أخاذة . لأنها في حقيقتها ، رد بالمتلقيّ القارىء الى الزمن السابق على معرفة القراءة . ذلك أن القارىء ما يكاد ينتهي من قراءتها حتى يشعر كأن الحاجة به قصوى الى استعمال الذاكرة ، خروجاً من النص ذاته وإن كان النص بمثابة مصباح يدوي يضيء الطرق الى هذا الخروج نحو الذاكرة .

هنا هو الجديد . وهذه هي « مغامرة » محمد علوان . فالكلمة المنتقاة بتأنٍّ شديد من قبل الكاتب . وهي تتكيء على الكلمة قبلها وتنشد الى الكلمة بعدها .. هي غير الكلمة . وغير التركيب ، مما اعتدنا لدى كتّاب القصة — التقليديين لأنها — أي الكلمة — في قصة « محمد علوان » تعرف جيداً انها ستؤدي دور المصباح لدى الخروج الى الذاكرة . ذلك أن الكاتب — الذي يرفض القبول بالسائد — قد أدرك في نفسه ضرورة عدم القبول بالسائد اللغوي . مما اقتضاه أن يعيد ترتيب البيت اللغويّ لقصته . مكثراً في هذا المجال من تقديم الأخبار على مبتدآتهـا والصفات على موصوفاتهـا لاهتمامه — أساساً — بأداء فكرة المآل .. فالبنت منكسة رأسها .. منخفضتان على أرضية الغرفة ، عيناها .. ! وهكذا ..

واذ نحن لا نطمح الى الانسياق نحو متابعة لغوية في مثل هذه المقالة العاجلة وانما الى البقـاء ضمن حدود الأسلوب العام وعوالم العمل الابداعي نفسه، عبر فهمنا له على أنه «مغامرة في الحداثة».. فمن هذه الزاوية ، نود أن نجيب عن سؤال حول مبرر اعتناء الكاتب بمثل هذه الطريقة في تركيب اللغة .. مثل « محروقة أصابع اليد .... » :

ان النماذج التي تتوسل تقديمها مجموعة « الخبز والصمت » والاطروحات التي تسوقها وكذلك التساؤلات التي تثيرها والنتائج التي تتوخاها ... اقتضت في تقديرنا مثل هذا الأسلوب اركازا لبعد القصة الواحدة ، العمودي ، من زاويتي: البنية القصصية ذاتها — وهي ما يبحث « علوان » عن تفرد بنمط منها أو استفراد — ثم من أجل تسليط الضوء الأكثر سطوعاً على واقعة ما — أو مكان أو شخص — بما يسمح بالتضخيم . هذا التضخيم — عبر الابراز الشديد — في الوقت الذي يساعد فيه القارىء على الدخـول الى دواخل القصة ، فانما أيضاً يمنعه عن الزوغان وعن التفلّت من قبضة الصورة التي تضعه القصة حيالها . من أجل ذلك — أو من خلاله — سبق أن أشرنا الى أن قصة « الخبز والصمت » في بعض جوانبها تطوق قارئها تطويقاً محكماً ، فلا تتركه الا وقد انتمى انتماءاً لا فكاك له الى حالة حدثت أو من المحتمل أن تحدث أو يجب أن ندرأ حدوثها ، عبر انتقالات سريعة وجريئة تشبه كثيراً توضّعات المقاطع السينمائية ذات الخيط الخلفي غير المنظور ، القادر على ضبط المقاطع جميعاً في صفة كلية واحدة ... ولذلك نحب أن نقول بأن المجموعة القصصية هذه ، انما هي أضمومة شرائح حياتية مكثفة ومغنية . ولأنها حياتية ، ففيها البارق وفيها الكابي .. مما يشكل لوحة ذات تساوق بنيوي خاص . فالقصة الواحدة فسيفساء . قطع من البشر الموتى والبشر الأحياء والشجر والصخور والرمل والجمال ، تصطف وفق الترتيب الذي يخمـن جامعها — محمد علوان — أنه يؤدي غايته من تشكيلها به .. بعد ذلك يعود التشكيل لتأخذ القصة مكانهـا في الاصطفاف الى جانب غيرها من القصص كي تصبح — من ثم — حيال الفسيفساء الأرحب ، « الخبز والصمت » .

عبر هذا الفهم ، بهذا المنظور ، فالمجموعة رؤية كلية . تجربة واحدة هي . تمتد سبعين صفحة من الشوق . الشوق الى حلم . حلم بوضع أجمل ما يزال متهادياً على نهر معذب ومتعذب ، في آن .

الآن ما هي رؤية هذا القاص ؟ ماذا يريد من كتابة القصة ؟ ومن الدخول في مغامرة الحداثة ؟ ..

ان الاجابة عن هذين السؤالين — نعترف — ذات خطورة بالغة ! الكاتب ما يزال يعلن عن ميلاده .. فعلى المتابع أن ينتظر . ليس عليه أن يتورط في اجابة لها صفة الثبات .

الا ان ملامح أولية تتبدّى بالجلاء النسبي عند « محمد علوان »، مشيرة الى كاتب مسكون بالهموم والأحزان .. وحداثة همومه وأحزانه ، حداثة التعامل معها ، هي ما تفضي به الى أن يكون متفائلاً باقتلاعها وبناء المستقبل — الحلم — بها ... فوق هذا المرتكز يتحرك محور قصة « محمد علوان » لثقته من أن القصة ليست ترفاً ولا ترّهة ، وليست تأنيقاً يجمّل الدمامة . وهو يعبر في خبزه وصمته عن فهمه هذا . وعليه فان وحدة التجربة — المنطلق والطريق والمقصد — هي ما يجعل للمجموعة ثنائية . طرفاها : الأخذ والعطاء ، أو الارسال والارتداد غير أننا نحب أن نشير هنا الى أن حالة الارسال من بيئة القاص — وهي جنوب المملكة — والارتداد اليها ، لم تأخذ دائماً المناحي والانكسارات نفسها ..

في مرات تكون زاوية الارتداد حادة ، وفي مرات قائمة ، وفي مرات أخرى هي زاوية انفراجية منبسطة على نحو باهت ومسطح ، . . وفي مثل هذه الحالة الأخيرة وقعت القصص — التي لها هذا الانفراج— في مغبة المباشرة «كما في قصص : السؤال الثالث ، قصيرة جداً ، خضراء ، ونعيق الغراب» (٣) . لهذا يصح ان نتساءل : ألم يكن في مكنة القاص أن يبقى عند ذرى البراعة التي أفرغ بهـا شحنة دعوته الى الاصالة والى التجديد «كما في قصتي : الجنادب ، والخبز والصمت» . بينما هو يؤكد أن «الحركة في الخارج ليست سوى صدى حقيقي لما نحسه نحن هنا في أعماقنا (٤) ؟

التوتر الأعلى في المجموعة هو ما تسمعنا اياه قصة «الخبز والصمت» . بطل هذه القصة يحمل في ذاته اندحاره . فيلوذ بالصمت ، وحتى عندما يختار الرفض ، يكون رفضا خائفاً ، جذوره : مرض الصمت .

— ما هو هذا المرض ؟

— الصمت لماذا ؟

من أجل الاجابة عن سؤال كهذا ، تسترجع الذاكرة ثلاثية «محمد ديب» الشهيرة (٥) ،وتقف عند قسمها الأول «الدار الكبيرة» حيث «الصغير عمر» في قاعة الدرس يزدرد قطعة من «الخبز» الجاف بينما المعلم يشرح لتلاميذه أن الوطن معناه الأم ومعناه فرنسا . . هذا الشرح لم يعجب عمر . ود عمر أن يقول : لا يمكن أن تكـون أمي هي فرنسا . ان امي هي في البيت . . ولم يستطع ، فلاذ بـ «الصمت» . . ولم يكن عمر يجرؤ على أن يفتح فمه لطرح الأسئلة ، بسبب طعم الخبـز . . »

فهنا مع «محمد ديب» صمت «عمر» مبرر ، واضح السبب . . اما الصمت الذي يتوارثه أهل القرية عند «محمد علوان» فهو صمت آخر . . ! صمت لا تتحدد أسبابه . الا أن القاص اعتنى بأن يظهر أكثر من مظهر للصمت ! الذي يتحدث عنه . . «للقرية صمت للمرأة صمت ! للنخلة صمت ! وللبيد اليمنى صمت ! ! » . . والصمت عند علوان «انتشر أشبه ما يكون بصفة وراثية يتناقلها الأبناء عن الآباء» ثم هو من «الأمراض التي ان لم يرثها فانها لا بد وأن تنتقل بالمجاورة» . وبهذا فقد عمم القاص مفهوماً صوتياً وجعله يمتد فيصبح مفهوماً له سمة الحركة .

واذا كان «عمر محمد ديب» يجعلنا ننتظر حتى ثالثة الثلاثية «النول» كي نسمعه يتكلم . . فان «صامت محمد علوان» الذي قرر له أبوه أن يتزوج يختصر المسافة ، يقول على التو «لا» . . ثم يحاول أن يجعل لهذه أل «لا» مرتكزات فلسفية بقوله : «أن تقول لا ، فأنت تمارس أدنى درجة من الحرية . . (٦)» واذن ، يكون الفعل قد سبق التبرير ؟ ولكن ، الى أي حد تقبل هذه المقولة ؟ . . المسألة نسبية ... ولعل قناعة «علوان» بقدرة الانسان على الفعل من أجل ما يرضاه لذاته — من حيث الانسان انسان— أو ضد ما لا يرضاه — من حيث الانسان انسان أيضاً — هي التي جعلته يقدم النتيجة : «وهي : لا» على الصورة الأولى : «كون الصمت قد نبت غابة وحشية» ، وعلى الصورة الثانية : «ماذا يمكن أن يحدث وهو العاق الأول في عائلته» ، ضمن المعادلة المنطقية المتتابعة التي تدور عليها ليس فقط قصة «الخبز والصمت» بل مجموعة «الخبز والصمت»

أليس علوان بذلك ، يكون قد قلب المنطقية من جذورها ؟ . . ؟ بمعنى مماثل ، ألا يكون قد توصّل الى أن الثلج هو القطن — مثلاً —عملا بالمسألة المنطقية المغلوطة ، التي حداها : الثلج أبيض — القطن أبيض ؟؟ !

على أن حالة التعاطف والاعجاب التي يحسها القارىء لدى قول البطل كلمة «لا» ضمن الاحاطة التي يبذلها القاص من حول القارىء ، لن تلبث أن تسقط خائبة حين لا يتيح القاص لقائلها مزيداً من المجابهة ، مزيداً من التكاسر مع التحدي الذي رفضه .

ان القاص يأخذ بطله — كالخائف أو المتراجع أو المهزوم — الى ذلك البيت الصغير في طرف المدينة حيث «الحمى التي يشعر بها بمجرد لقائه بسكان المنزل» كي يصف لنا جملة الانفعالات السيكولوجية والبيولوجية في البطل الذي أحس داخل المنزل بالدوار» فخرج ! خرج دون التفاتة الى الوراء باتجاه منزله هو ، حيث «العائلة بكاملها تفترش الأرض» وحيث الرد المنتظر : «لا» .

ان موقف الانتماء الى صف الصمت الفائض كالسيل ، قد عبرت القصة عنه من خلال صيغ الأقدام والارتداد . ما كادت تتقدم حتى ارتدت «زيارة المنزل بطرف المدينة» ، ثم تقدمت من جديد مرتين «ابتلاع بقايا اللعاب . . و . . الخروج من المنزل دون التفات» ، ثم ليبلغ الموقف أشده في المواجهة البارعة الصارخة في آخر سطر : « . . وخرج ثعبان من جحره بعد أن غيّر جلده» . . تحدد الانتماء أخيراً أذن . لكن القارىء يحتاج مبررات أكفى لهذا الاختيـار الأخير . فهذا اللجوء الأخير عبر المقدمات التي ساقها الكاتب لم يأت سوى من قبيل رد الفعل .

ان هذا لا يسمح بكثير من الضغط على يد «محمد علوان» اذ نحن نصافحه ونرحب به . لأنه شتان بين الفعل المجرد وبين الفعل كرد لفعل سابق ●

نبيه شعار — الدمام

---

(١) يقول الدكتور محمد عبد الرحمن الشامخ عن الفن القصصي السعودي الذي بدأ عام ١٩٣٠ «لم يزد ما أنتج في ميدان الرواية حينئذ عن روايتين قصيرتين اتسمتا بالصيغة التهذيبية التعليمية ، أما القصص القصيرة فما كانت قليلة العدد ولكن معظمها كان شبيهاً بهاتين الروايتين من حيث كونها تهذيبية في غرضها ، تجريبية في طبيعتها ، كما كانت عبارة عن مختصرات روائية أبرزت في شكل قصص قصيرة» . الدارة / العدد الأول السنة الخامسة .

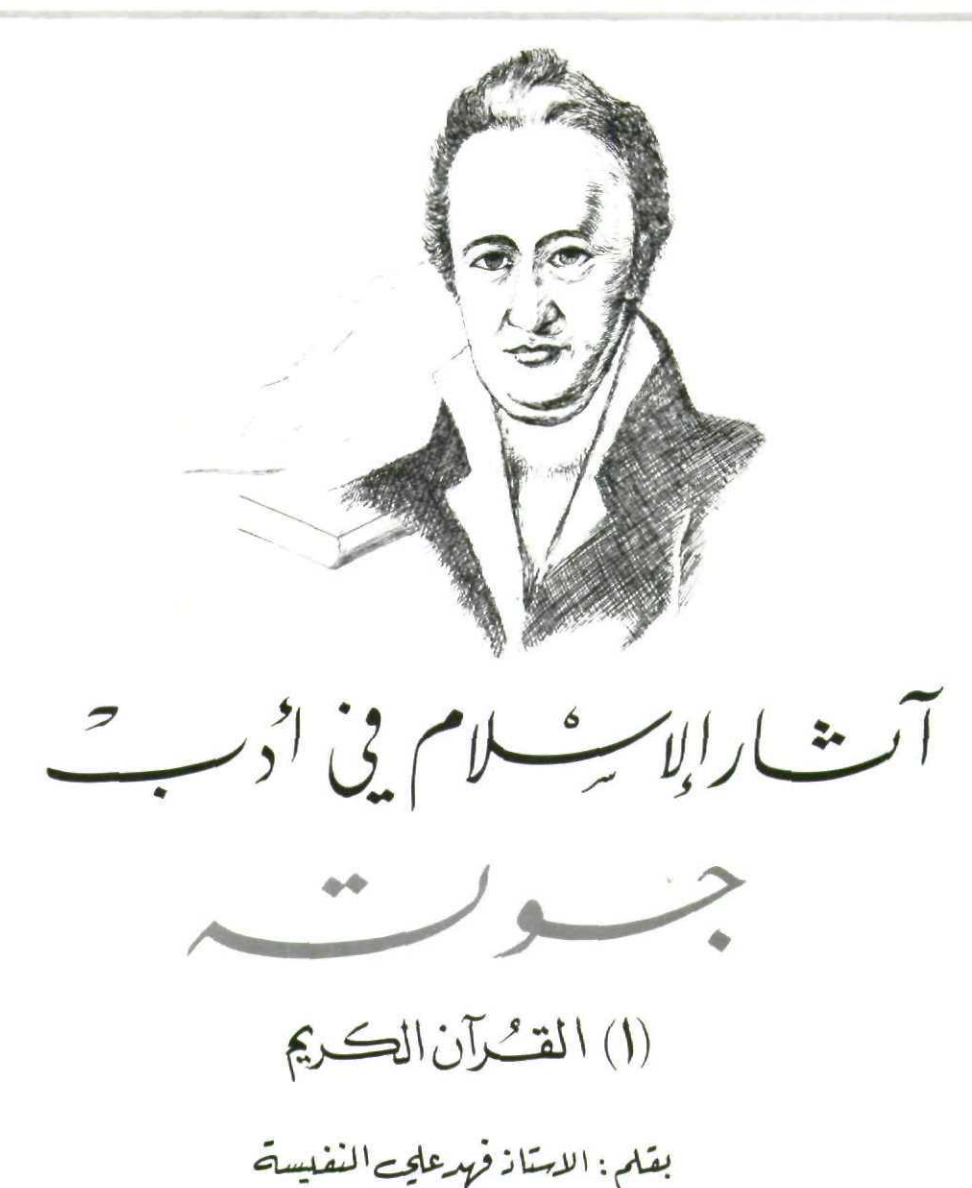
(٢) صدرت المجموعة عام ١٣٩٨هـ عن دار المريخ الرياض / القاهرة مع تقديم ليحيى حقي .

(٣) الصفحات ٢٠/ ٢٥/ ٦٦/ ٧٢ من مجموعة «الخبز والصمت» .

(٤) من قصة «الخبز والصمت» ص/ ٣٥ .

(٥) ثلاثية الكاتب الجزائري محمد ديب «الدار الكبيرة / الحريق / النول» ترجمة الدكتور سامي الدروبي — نشر دار الطليعة — آذار مارس ١٩٦٨ .

(٦) «الخبز والصمت» . ص / ٣٥ .



آثار الإسلام في أدب جوته

(١) القرآن الكريم

بقلم: الاستاذ فهد علي النفيسة

في شمال اوربا مما يلي غربها قليلاً حيث تعشق الغيوم السماء ، ويشتاق المطر الى الأرض كثيراً ، وحيث يطلع الربيع في أبهى حلله . عاش زوجان في القرن الثامن عشر عيشة وادعة ليس فيها ما يستحق الذكر الا ذلك اليوم من أيام « أغسطس » من عام ١٧٤٩ م . ففيه رزقا مولوداً لم يلبث ان جنى لهما الشهرة من حيث تجني العباقرة ذلك .

أما الزوجان فهما « ولفجانج جوته » وزوجته ابنة عمدة مدينة « فرانكفورت » احدى مدن المانيا . (١) وأما المولود فهو « يوهان ولفجانج جوته » الذي كان بكر أبويه ، غير أنه لم يكن وحيدهما فانهما لم يلبثا أن رزقا بعده بخمسة أولاد ، ماتوا صغار ولم يعمر منهم الا الفتاة « كورنيليا » .

دع ذينك الزوجين وابنتهما « كورنيليا » يذهبون في ذهنك الى حيث يريدون . فان شاءوا وسمح لهم ذهنك بذلك فليعيشوا ، وان شاءوا ولم يسمح لهم خيالك بغير ذلك فليموتوا ، فما عادوا يعنوننا بشيء في هذا المقام .

أما ذلك الطفل « يوهان » فزيادة على أنه هو شأننا في هذا الحديث فنحن ، أنا وأنت وغيرنا ، لا نملك أن نسمح لأذهاننا أن ترسم له صور حياته ، فقد رسمها هو بارادته حتى حفظها له التاريخ ، فهي ثابتة واضحة لا تحتاج الى أذهاننا في شيء .

ها هو يتعلم منذ صباه كثيراً من العلوم والفنون حتى اذا ارتقت به المعرفة قليلاً وجدناه يلم باللغات اللاتينية واليونانية والعبرية والفرنسية والانكليزية والايطالية فيتوفر له من ذلك ثقافة تستحق التقدير والاعجاب .

ولم يكد يبلغ السنة الخامسة عشرة من سني حياته حتى رأيناه يطرق باب الشعر ، ويراود القصة عن نفسها ، ويطمح الى ابواب المسرح .

ولم يزل يطرق ابواب المعرفة حتى ظفر بدرجة « الدكتوراه » في الحقوق سنة ١٧٧١ م (٢) . غير أن طبيعة نفسه الشاعره ، وتقلب الأحوال به والأطوار صرفاه عن العمل فيما تؤهله له درجته العلمية تلك . فاتجه الى الأدب يقرأ تارة ، ويؤلف أخرى . فأخرج للناس أولى مسرحياته سنة ١٧٧٣ م وهي مسرحية « الفارس ذو اليد الحديدية » ثم أعقبها سنة ١٧٧٤ م بقصة « آلام فرتر » وبها صعد أولى درجات المجد وهو لا يزال في الخامسة والعشرين من عمره ، فقد لقيت هذه القصة من الشهرة حظاً عظيماً

(١) فرانكفورت من مدن وسط ألمانيا الغربية اليوم

(٢) يقول « صديق شيبوب » في كتابه « جوته » ص /١٩ ان كلية الحقوق في مدينة « ستراسبورج » قد رفضت أن تمنح « جوته» درجة اعلى من درجة « الليسانس » على أطروحته التي قدمها للدكتوراة ، غير أن الناس بقيت تمنحه لقب « دكتور » برغم ذلك. بينما تذكر ترجمة « جوته » التي في مقدمة قصته « فاوست » أنه حصل على درجة الدكتوراة.

فترجمت فـــور خروجها الى الفرنسية والانجليزية والى غيرهما من اللغات الأوربية .

ثم انتقلت به الأطوار من بلدته « فرانكفورت » الى مدينة « ويمار » وكأن مزيداً من الحظ والمجد كان ينتظره هناك فقد ربطته الصداقة بأمير تلك البلدة « الدوق شارل أوجست » الذي قربه اليه واختاره لكثير من المناصب الرفيعه في أمارته فهو تارة مستشاره الخاص ، وتارة أخرى مدير المسرح ، وهو بعد ذلك مدير ادارتي الحرب وبناء الجسور ، ثم مدير المالية .

وهكذا ألقى « جوته » بثقل عشرة أعوام من حياته في ارض « ويمار » تبدأ من عام ١٧٧٥ م وتنتهي في عام ١٧٨٦ م . ثم غادرها الى ايطاليا . وكانت تلك الأعوام العشرة موضع كثير من تجارب الشاعر وذكرياته الجميلة ، وقد ألف فيها كثيراً من النثر والشعر غير أنه لم يخرج من ذلك شيئاً للناس . واحتضنت ايطاليا الشاعر أشهراً بعد رحيله من « ويمار » بل ظفرت منه بأكثر من عام من حياته .

غير أن « ويمار » لم تزل تعني أشياء في حياة الشاعر ، فها هو يعود اليها عام ١٧٨٨ م ، وفيها ينشر ما لديه من مؤلفات ويشرع في تآليف أخرى . ثم تجمعه أرضها بالشاعر الألماني الشهير « فردريك شيلر » في سنة ١٧٩٤ م فتنشأ بينهما صداقة حميمة تثمر بكثير من الانتاج الأدبي طيلة عشر سنوات متصلة . لكن « شيلر » لم يلبث ان ترك الدنيا عام ١٨٠٥ م فترك انتقاله هذا فراغاً واسعاً في نفس جوته وحياته .

ثم تمضي الايام بجوته الى عام ١٨٠٨ م حيث يلتقي بنابليون أثناء دخول هذا لألمانيا غازياً . ويتكرر بينهما اللقاء . وعند آخر لقاء بينهما يقلد نابليون « جوته » وسام « جوقة الشرف » الذي ظل فيما بعد مفخـرة « جوتـه » ومبعث اعتزازه .

وفي سنة ١٨٠٩ م أخرج « جوته » للناس قصة « الميول الاختيارية » . ثم في سنة ١٨١٢ م جمعه الحظ بالموسيقي الشهير « بتهوفن » في مدينة « تبلتز » فنشأت بينهما مودة وصحبه .

ثم تمضي الايام بالشاعر في مسارحها ببلدة « ويمار » وهو يملأ بأدبه وانتاجه صدر ألمانيا فخراً . فيخرج للناس في تلك الفترة مجموعة أشعار سماها « الديوان الشرقي الغربي » . ثم لم يلبث أن أتم الجزء الثاني من قصة « فاوست » سنة ١٨٣١ م . وكان قد نشر الجزء الأول منها سنة ١٨٠٨ م .

ثم تدركه غاية الحياة ، وتبلغه كف الأجل ، ففي صباح اليوم الثاني والعشرين من أيام « مارس » من عام ١٨٣٢ م ، يودع الحياة بعد أن كتب في سجل المشاهير اسم « يوهان ولفجانج جوته » .

لم يكن جوته شاعراً ألمانيا فحسب بل كان شاعراً عالمياً . وكان في احساسه وتفكيره ابن الأرض قاطبة وليس ابن ألمانيا وحدها . ويشهد على هذا ما قاله في الديوان « الشرقي الغربي » اذ قال : « من يعرف نفسه ويعرف الآخرين لا بد له ان يعترف هنا أيضاً أن الشرق والغرب لا ينفصلان » (٣)

لذا اتجه منذ صغره الى تعلم لغات شتى منها الغربية ومنها الشرقية ، والى الالمام بثقافات مختلفة من هنا وهناك .

وكان على رأس الكتب التي طالعها في صباه « التوراة » ، وقد نظر أولاً في النسخ المترجمة منها الى الالمانية . ولكنه طمع في أن يرى أصلها العبري فشرع في دراسة العبرية حتى اذا حظى منها بقدر أخذ في ترجمة أجزاء من التوراة من العبرية الى الألمانية ، وقد تأثر بأكثر من قصة من قصصها فرأيناه يصوغها شعراً مثل « نشيد الانشاد » ، أو يرويها قصة مثل قصة « يوسف واخوته » . وعند « سفر أيوب » من التوراة خيل لجوته أنه قد اطلع على شيء من البيان العربي ، فقد كان سائداً يومئذ أن هذا السفر دخل على التوراة من العرب وانه ليس من أصل التوراة . وسواء كان هذا حقاً أم لا فان « جوته » قد كون لنفسه من ذلك فكرة أوليه عن البيان العربي .

ثم كان لقاء « جوته » بالأديب العالم « هردر » في مدينة « ستراسبورج » الذي لفت نظره الى الشرق العربي واستنهض همته للنظر في أدب العرب وحياتهم . لذا رأيناه يتجه الى الدراسة الشرقية العربية بعد عودته من « ستراسبورج » الى مدينة « فرانكفورت » عام ١٧٧٢ م . ولم يجد أولى بنظره ودراسته ان هو أراد الاطلاع على روعة البيان العربي من القرآن الكريم ، فتناوله بالقراءة والنظر . فنظر أولاً في ترجمته الألمانية التي قام بها « مرجرلين » . ثم نظر الى ترجمة اخرى لاتينية ، وقد أفاد من ذلك النظر كثيراً من الأخيلة واقتبس كثيراً من الآيات والمعاني رأيناها فيما بعد جليه في أدبه . ولم يزل بعد ذلك يديم النظر في القرآن ويدرسه في

(٣) انظر كتاب « شمس العرب تسطع على الغرب ، تأليف « زيغريد هونكه » ، ص /٥٣٧ ، ط١ (٤) انظر كتاب « الشرق والاسلام في أدب جوته» « لعبد الرحمن صد العدد ١٥٦ رمضان ١٣٩١ هـ ، نوفمبر ١٩٧١ م . ص /٧٧ و٧٨ (٧) هذه المقطوعة وما يتلوها من مقطوعات في بعض الاستشهاد على تأثير القرآن في شعر ج جبر ص /١٧ و ١٨ . (٩) سورة البقرة . آيه رقم /٢٦ . (١٠) سورة النمل . الآيات من ٢٠ الى ٢٨ .

فترات متفرقة من حياته . وقد أعجب به الى حد بعيد وهو يقول : ان القارىء الأجنبي قد يمله لأول وهله ولكنه لا يلبث ان ينجذب اليه حتّى يسلّم بروعته وعظمته (٤) .

ويقول ان القرآن يكرر قواعد تعاليمه كثيراً ويكرر التبشير والانذار ، سورة بعد سورة ، وليس في هذا ما يضيره كما يرى كثير من مفكرى الغرب ، فان محمداً لم يرسل الى الناس شاعراً يتفنن في القول ، وينوّع في ضروب الكلام ، ويصطنع الأخيلة والمعاني ، ويبتكر الصور والمشاهد ليجلب لهم اللذة ويدخل الى نفوسهم الطرب ، وانما أرسل اليهم نبياً ليعلمهم دين ربهم ويخرجهم من جاهليتهم . فالقرآن الذي بعث به كتاب ايمان وشريعة وليس كتـــاب فن وشعر (٥) وكما أفصح « جوته » عن اعجابه بالقرآن ، أفصح عن اعجابه بالمسلمين وأدبهم وطرق تربيتهم فهو يقول : (٦)

« انهم يبثون قبل كل شيء في أذهان الشباب ، كقاعدة للدين ، العقيدة الراسخة بأن الانسان لا يصيبه شيء الا قد قدره له سلطان الهي منظم لكل شيء ، فها هم قد اصبحوا مسلحين لمدى الحياة ، وها هم قد اصبحوا راضين لا يكادون يحتاجون الى شيء آخر .. ثم يبدأ المسلمون تربيتهم الفلسفية بهذه السنة وهي : « لا يوجد شيء لا نستطيع أن نقطع بعكسه » . هكذا يمرنون اذهان الشباب فيكسبهم ذلك مرونة كبيرة في التفكير » .

« ونحن نرى اذن أن هذا المذهب لا يفتقد الى شيء واننا لا نفوقهم بشيء رغم تعدد مذاهبنا ولا يستطيع أحد أن يتقدمهم بشيء » .

وجوته شاعر تأثري ، أي أنه يتأثر بتجاربه الذاتية وقراءاته ومطالعاته فهو يصدر عنها في أكثر أدبه ، فقصصه ومسرحياته هي غالباً محض تجاربه ولغة شعره وتشبيهاته هي كثيراً ما تكون لغة ثقافته وتشبيهاتها . ولما كان القرآن من أهم الكتب التي قرأها وأعجب بها فلا غرو أن نجد أثره في شعره .

انظر الى هذه المقطوعة من « الديوان الشرقي الغربي » (٧) :

« لله المشرق والمغرب ، وفي راحتيه الشمال والجنوب جميعاً ، هو الحق وما يشاء بعباده فهو الحق ، سبحانه له الأسماء الحسنى ، وتبارك اسمه الحق ، وتعالى علواً كبيراً ، آمين . »

« ينازعني وسواس الهي ، وأنت المعيذ من شر الوسواس الخناس ، فاللهم اهدني في الاعمال والنيات الى الصراط المستقيم » .

« ومهما زينت النزعات والشهوات ، فالنفس لا تذهب شعاعاً ولا تضيع ضياعاً ، ولا تلبث بما أودع فيها من الحفاظ والاباء ان تنطلق عارجة الى اوج العلاء . »

« وللناس في ترديد أنفاسهم آيتان من الشهيق والزفير ، هذا يفعم الصدر وهذا يفرج عنه ، كذلك الحياة عجيبة التركيب ، فاشكر ربك اذا بليت ، واشكره اذا عوفيت » (٨) .

أنظر الى هذه المقطوعة ثم أجبني : أليس هذا شعراً فيه أثر القرآن جلياً شاملاً ؟ وانظر الى هذه المقطوعة الأخرى بعنوان « التشبيه » ستجد « جوته » قد هزه أثر في نفسه قول القرآن الكريم (٩) :

« ان الله لا يستحيي أن يضرب مثلا ما بعوضة فما فوقها فأما الذين آمنوا فيعلمون أنه الحق من ربهم وأما الذين كفروا فيقولون ماذا اراد الله بهذا مثلا يضل به كثيراً ويهدي به كثيراً وما يضل به الا الفاسقين » .

ويقول جوته : « لم لا اصطنع من التشابيه ما أشاء والله لا يستحي أن يضرب مثلاً للحياة بعوضه ؟ ! » . « لم لا اصطنع من التشابيه ما أشاء والله يجلو لي من جمال عيني الحبيبة لمحة من جماله رائعة عجيبة ؟ ! » .

واذا تابعت جوته في هذه المقطوعة الأخرى بعنوان « سلام » فعليك ان تستحضر قبل في ذهنك قصة النبي سليمان مع الهدهد التي وردت في هذه الآيات من القرآن (١٠) :

« وتفقّد الطير فقال مالي لا أرى الهدهد أم كان من الغائبين * لأعذبنّه عذاباً شديداً أو لأذبحنّه أو ليأتيني بسلطان مبين * فمكث غير بعيد فقال أحطت بما لم تحط به وجئتك من سبأ بنبأ يقين * أني وجدت امرأة تملكهم وأوتيت من كل شيء ولها عرش عظيم * ووجدتها وقومها يسجدون للشمس من دون الله وزيّن لهم الشيطان أعمالهم فصدهم عن السبيل فهم لا يهتدون * ألاّ يسجدوا لله الذي يخرج الخبء في السماوات والأرض ويعلم ما تخفون وما تعلنون * الله لا اله الا هو رب العرش العظيم * قال سننظر أصدقت ام كنت من الكاذبين * اذهب بكتابي هذا فألقه اليهم ثم تولّ عنهم فانظر ماذا يرجعون *» الى آخر الآيات .

واذا استحضرت هذه القصة فانظر الى آثارها فيما يقوله جوته : « واها . . . ما

/١٧ط . دار الهلال . (٥) انظر المصدر السابق . ص/٢٨ . وكتاب « من الأدب الألماني » باشراف جميل جبر . ص/١٥ . (٦) انظر مجلة « العربي » ،
ولة من كتاب « الشرق والاسلام في أدب جوته» لعبد الرحمن صدقي . الا ما نشير بجانبه الى مصدره . (٨) انظر ايضاً كتاب « من الأدب الألماني » باشراف جميل

كان أسعدني » . « كنت أتمشى خلال الحقول فاذا الهدهد يطفر في طريقي » . « وكانت بغيتي التفتيش هنا وهناك بين الأحجار عن ودعات متحجرات مما تخلف عن البحر القديم . فاعترضني الهدهد في اختيال ناشراً تاجه متبختراً في هيئة المدل الساخر ، وانه لسخر الحي بالميت » .

« فقلت له : يا هدهد . . في الحق انك لطائر جميل . انطلق يا هدهد . . وبلغ حبيبتي أني لها وملك يمينها ما حييت ، وكذلك كنت من قبل رسول الحب بين سليمان وملكة سبأ . . » .

هكذا ترى « جوته » قد ألم بقصة الهدهد مع سليمان وما جرى من ارساله الى ملكة سبأ . والقصة كما أنها واردة في القرآن ربما تكون واردة في التوراة او في غيرها . و « جوته » تأثر بالقرآن كما تأثر بالتوراة . وهكذا لا يمكن القطع باعتبار هذه المقطوعة متأثرة بالقرآن او القطع باعتبارها متأثرة بالتوراة . وانما احتمال الأمرين قائم ما لم يقم دليل قاطع يجعلها من أثر أحدهما دون الآخر .

واذا كان في نفسك شيء منها فدعها وانظر الى هذه القطعة بعنوان « جزاء المجاهدين الشهداء » فهي لا تحتمل أدنى شك فيما بها من أثر القرآن . يقول : « لينذب الأعداء قتلاهم ، فانهم من الهالكين . أما الشهداء من اخواننا فلا تندبوهم فانهم أحياء في أعلى عليين » .

« فتحت السماوات السبع أبوابها لهم أجمعين . وهم أولاء يقرعون أبواب الجنة يدخلونها بسلام آمنين . وقد أخذ منهم العجب . وغلبت عليهم نشوة الطرب اذ يجتلون من مجالي الجمال والجلال ، ومطالع السنا والبهاء ، ما اكتحلت به عين النبي في ليلة الاسراء ، اذ أقله البراق الى السماء ، وطاف به السبع الطباق في لحظة خاطفة » .

« هناك في تلك الجنة الوارقة تسمو — جنباً الى جنب كأشجار السرو الباسقة — أشجار المعرفة ، يعلو فروعها الفارعة ثمر جني من تفاحها الذهبي . وهناك أشجار الخلد فينانه كثيفة ، تمد ظلالها على مفارش العشب المنمنمة الوشي ، وعلى منابت الأزهار شتى الشيات مختلفة العطر » .

« وفي هذه الجنة ، جنة النعيم ، تقبل على أجنحة النسيم أسراب الحور العين ، فانعم أيها المجاهد الشهيد بالنظر اليهن . وبالنظر وحده ترتوي غلتك ، وتشبع شهوتك . وانهن ليقبلن عليك ، وليسألنك عما أتيته من جلائل المساعي ، أو ما خضته من المعارك الحامية الدامية المحفوفة بالمهالك » .

« ان كونك بطلاً أمر مفروغ منه مقطوع به عندهن ، والا ما كنت هنا بينهن . ولكن أي الأبطال تكون ؟ . ذلك ما ينشدون عرفانه . وسرعان ما يعرفنه من جرحك ، الذي نقش على صدرك اثراً هو حسبك تذكار فخر ، ووسام مجد وقلادة جداره . ان المال فان ، والجاه زائل ، ولا يبقى الا طعنة كهذه لقيها المؤمن في سبيل الله » .

« وتذهب بك الحور العين الى خمائل بالكروم معروشة ، ويملن بك الى قباب بالزرابي مفروشة ، تدعمها أساطين من حجارة كريمة متلألئة ، ذات ألوان متقلبة ، يموج بعضها في بعض ، انهن يدعونك في لطف وايناس ، وقد رشفن رشفة بطرف الشفة من الكأس الى شراب اهل النعيم من عصير كروم لا كالكروم ، ذلك هو الرحيق المختوم » .

« وانت هنا مردود الى عنفوان الشباب مجدد الأهاب . وهن أبكار أتراب جميعهن لا تفاضل في روعة الحسن ونضرة اللون بينهن . فان ضممت احداهن الى صدرك فقد ضممت سلطانة عظيمة . هي لك في مقصورتك نعم الخدينة . وحاشا أن تغتر بالحسن منهن حسناء ، فيداخلها الصلف والخيلاء ، وحاشا أن تطوي واحدة منهن صفحة البشر وتظهر الكمد لطارىء من الغيرة او لاعج الحسد . بل كل تحدثك عن محاسن غيرها أصدق الحديث وأطيبه . ولا تصدك ان شئت عن مجالس الأخريات ، بل يتسابقن جميعاً على السواء للقيام على خدمتك ، وتهيئة ما فيه تمام مسرتك » .

« فأنت من حور العين في جمع عظيم زاخر ، ثم أنت مع ذلك في صفو من العيش ناعم البال والخاطر . وانه لمطلب معجز الدرك عزيز . ومن حقك أن تطلب الجنة من أجله » .

« فانعم بهذا الصفو الذي لا كفاء له ولا عوض عنه ، بين أسراب من الحور العين لا يضجر معاشرها ، وأكواب من الرحيق المختوم لا يسكر معاقرها . نعم الصفو المقيم ونعم جنة النعيم » .

هذه ترجمة لآيات شتى من القرآن وان كان الشاعر لم يرد بها ذلك ، غير أنك لا تقرأ فقرة من هذه المقطوعة الا تمثلت في ذهنك آية أو آيات من القرآن ●

فهد علي النفيسه — الدمام

أخبار الكتب أخبار الكتب أخبار الكتب

● من أنفس كتب التراث العربي كتاب « الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة » لأبي الحسن علي بن بسّام الشنتريني ، وقد عكف المحقق الدكتور احسان عباس على تحقيق هذا الكتاب فصدرت منه ستة أجزاء ضخام عن الدار العربية للكتاب .

● وصدر في دمشق السفر الأول من كتاب « الحيوان » للجاحظ من دراسة وتحقيق الأستاذين عبد المعين الملوحي ونعيم الحمصي ، ونشرته وزارة الثقافة .

● ويصدر قريباً في القاهرة كتاب « مجمع الأمثال » للميداني من تحقيق الأستاذ محمد أبو الفضل ابراهيم .

● صدر للأستاذ عبد القدرس الأنصاري كتاب في سلسلة المكتبة الصغيرة التي يخرجها الأستاذ عبد العزيز الرفاعي عنوانه « رحلة في كتاب من التراث » سجل فيه الأنصاري خواطره وتعليقاته البصيرة وهو يدرس كتاب « بدائع البداية » لعلي ابن ظافر الذي حققه الأستاذ محمد أبو الفضل ابراهيم ونشرته مكتبة الأنجلو المصرية .

● صدر للأستاذ الدكتور حسين مجيب المصري كتاب « روضة الأسرار » لمحمد اقبال ، وهو كتاب ردّ فيه اقبال شعراً على الصوفيين . وعني الدكتور المصري بوضع دراسة مسهبة عن الكتاب كما ترجم قصائده الى العربية شعراً وقامت بنشره مكتبة الأنجلو المصرية . ويصدر قريباً للدكتور المصري كتاب « في الأدب الشعبي الاسلامي المقارن » .

● من الدراسات الأدبية التي نشرت اخيراً كتاب « الغزل في الشعر العربي » للدكتور سعد دعبيس ونشر مكتبة النهضة العربية ، و « دراسات في الأدب العربي الحديث » للدكتور عطية عامر ونشر دار المغرب العربي ، و « الحضارة العربية » للمستشرق ي . هل وترجمة الدكتور ابراهيم احمد العدوي ونشر دار الهلال ، و « اللهجات العربية في التراث » للدكتور علم الدين الجندي ونشر الدار العربية للكتاب . وللدكتور يوسف بكار كتاب قيد الطبع عنوانه « التراث الفارسي عند العرب في القرنين التاسع عشر والعشرين » .

● كتاب تذكاري كبير عن مؤرخ دمشق ابن عساكر يصدر قريباً متضمناً الدراسات والبحوث والقصائد التي ألقيت في المهرجان الكبير الذي أقيم تكريماً لهذا العالم الكبير .

● صدر عن مؤسسة الأهرام كتاب جديد بعنوان « عزيز المصري والحركة العربية ١٩٠٨ — ١٩١٦ » للدكتور محمد عبد الرحمن برج . هذا وقد سبق للأستاذ محمد صبيح أن أصدر كتاباً وافياً عن عزيز المصري وسيرة حياته . وفي الوقت عينه تناول الكاتب الصحفي القديم الأستاذ محمد علي رفاعي جوانب اخرى من شخصية هذا الرجل في كتابه « رجال ومواقف »

● يصدر قريباً للدكتور عبد العزيز الدسوقي كتاب جديد عن « المتنبي » ألفه بوحي من الكتاب الضخم الذي أصدره الأستاذ محمود محمد شاكر عن « المتنبي » في جزءين كبيرين.

● أحدث ما صدر عن مجمع اللغة العربية الأردني كتاب « مصطلحات التجارة والاقتصاد والمصارف » وقد قدم له رئيس المجمع الدكتور عبد الكريم خليفة وأشرف على اعداد مادته الدكتور محمد صقر والسيد غالب عرفات ، والدكتور محمد سعيد النابلسي ، والدكتور ماهر شكري ، والأستاذ عبد الرحمن بشناق .

● تصدر قريباً للقاص السوري عبد السلام العجيلي رواية عنوانها « المغمورون » ومجموعة أقاصيص عنوانها « الحب الحزين » .

● ترك الشاعر المهجري جورج صيدح الذي توفي في باريس في شهر أكتوبر ١٩٧٨ ، ترك تراثاً شعرياً ونثرياً غير منشور ، من جماته أصول طبعة رابعة منقحة موسعة من كتابه الموسوم « أدبنا وأدباؤنا في المهاجر الأمريكية » ، والمجموعة الشعرية الكاملة للشاعر . ويتنادى أصدقاء الشاعر لنشر آثاره واصدار كتاب تذكاري عن حياته وأدبه .

● « شوق وذكرى » عنوان ديوان شعر يصدر قريباً للدكتور حسين مجيب المصري .

● شرع الشاعر المهجري الأستاذ فيليب لطف الله في طبع ديوان جديد عنوانه « اناشيد الغروب » يصدر في البرازيل .

● من الكتب العلمية التي صدرت اخيراً كتاب « الكون والثقوب السوداء » من تأليف الأستاذ رؤوف وصفي ومراجعة الأستاذ زهير الكرمي وقد ظهر في سلسلة « عالم المعرفة » الكويتية .

● ترجم الأستاذ جلال العشري كتاب « محاورات برتراند رسل شيخ الفلاسفة في هذا العصر » ونشرته الهيئة المصرية العامة للكتاب .

● صدرت في بيروت عن دار العودة طبعة جديدة من كتابي « ادركني يا دكتور » وهو مجموعة أقاصيص للشاعر المرحوم الدكتور ابراهيم ناجي و « أزهار الشر » لبودلير وترجمة الدكتور ناجي . كما أصدر الاستاذ حسن توفيق كتاباً بعنوان « ابراهيم ناجي : قصائد مجهولة » . وهو دراسة لحياة الشاعر وشعره ضمت خمسين قصيدة لم يسبق نشرها في دواوين الشاعر المطبوعة . وقد نشرت هذا الكتاب مكتبة مدبولي . وتصدر عن المجلس الأعلى لرعاية الفنون والآداب دراسة عن الشاعر ناجي من اعداد زميله الشاعر المرحوم محمد مصطفى الماحي المتوفى في ٧ نوفمبر ١٩٧٦ .

● « رواد الشعر الحديث » كتاب للدكتور مختار الوكيل صدر في الثلاثينات وأحدث ضجة في الحياة الأدبية لتناوله الشعراء المعاصرين على مشرحة النقد الصريح . وتصدر قريباً طبعة جديدة من هذا الكتاب أضاف اليها المؤلف كل ما كتب عنه في حينه بأقلام النقاد والكتاب تسجيلاً لحدث أدبي أغفله معظم الدارسين المعاصرين .

● هذا ويعيد الدكتور مختار الوكيل نشر ديوانه الأول « زورق الأحلام » مضيفاً اليه أقوال النقاد في الديوان .

● صدر للدكتور بديع محمد جمعه كتاب جديد بعنوان « دراسات في الأدب المقارن » ونشرته دار النهضة المصرية .

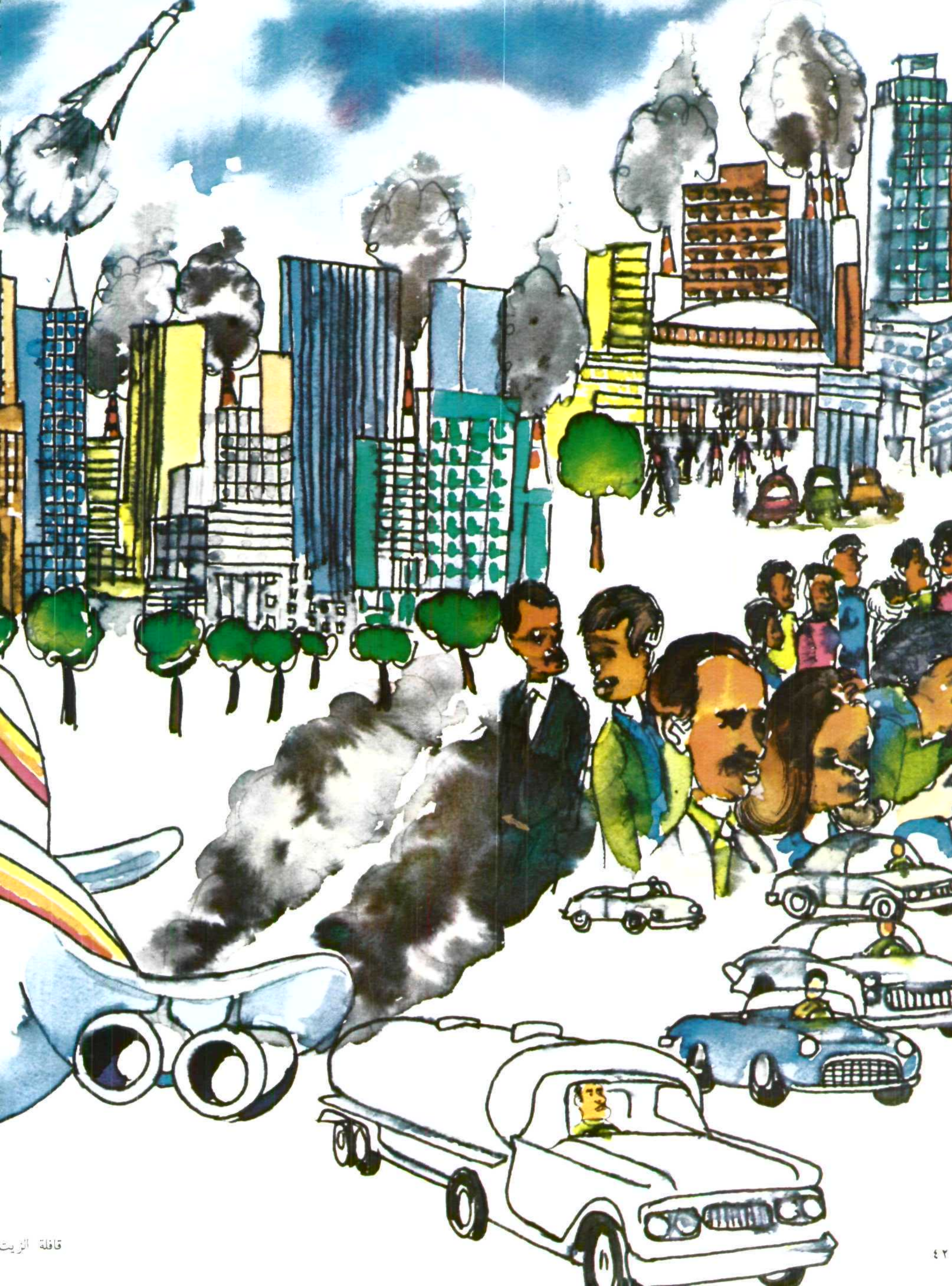
● صدرت في بيروت في جزءين كبيرين طبعة جديدة من ترجمة كتاب « المثنوي » لجلال الدين الرومي من اعداد الأستاذ الراحل الدكتور محمد عبد السلام كفافي .

● « نظرية الحرب في القرآن الكريم » كتاب صدر في لاهور باللغة الانكليزية للبريجادير الباكستاني مالك . وتصدر له قريباً ترجمة باللغة العربية .

● فرغ الأستاذ زهير مارديني من وضع كتاب عن الحاج أمين الحسيني مفتي فلسطين يسجل فيه حياة هذا الزعيم الفلسطيني وآراءه في الدين والوطنية ، ودوره التاريخي خلال أكثر من أربعين عاماً .

● صدر الجزء الثاني من كتاب « تاريخ شمال افريقية » من تأليف شارل أندريه جليان وترجمة الاستاذين محمد مزالي والبشير ابن سلامه ونشر الدار التونسية .

● من الكتب التربوية الجديدة التي صدرت : « مقدمة في العلوم التربوية » للدكتور نازلي صالح أحمد ونشر مكتبة الأنجلو المصرية و « الفكر التربوي في رعاية الطفل الأصمّ » للأستاذ لطفي بركات أحمد ونشر مكتبة النهضة المصرية ●



ظاهرة التلوث وخطرها على الانسان

بقلم : الدكتور محمّد علي الفرّا

التلوث يمكن تعريفه بأنه اختلال في توزيع نسب وطبيعة مكونات الهواء أو الماء بحيث اذا ما زاد تركيز بعضها على حساب الآخر . أو ارتفعت حرارة أحد العناصر أو المكرنات عن حدها المألوف . سمي تلوثاً .

والتلوث على صور وأشكال مختلفة منها التلوث الجوي أو الهوائي . وهو يحدث نتيجة اختلال نسب غازات الجو . أما التلوث المائي والذي يحدث في البحر والنهر وكل مسطح مائي فيكون سببه تركز بعض عناصر المياه واختلاطها بالشوائب والمواد الغريبة . وقد ترتفع درجة حرارة المياه نتيجة عوامل غير جوية مما يسبب الضرر للكائنات الحية أو يعرض حياتها للخطر . فنسمي ذلك بالتلوث الحراري . وكثيراً ما يعلو الضجيج في بعض المناطق ولاسيما الصناعية . مما يقلق الراحة ويعكر الهدوء والسكينة . ويثير الأعصاب . فنسمي ذلك بالتلوث الضوضائي لأنه يولد موجات صوتية عنيفة ذات اهتزازات وذبذبات حادة تضر بالسمع وتهيج الأعصاب .

ولنبدأ قبل كل شيء بمعرفة المكونات الرئيسية للهواء العادي النقي غير الملوث والذي على اساسه يمكننا قياس التلوث كماً ونوعاً . ان الغازات الأربعة الرئيسية التي تكون الهواء الذي تستنشقه هي النيتروجين . والأكسجين . والأرجون . وثاني أكسيد الكربون. تشكل ٩٩.٩٩٪ من مجموع غازات الهواء كما أن بخار الماء ضروري وهام في الغلاف الجوي اذ تتراوح نسبته ما بين ٠.٠١٪ و٠.٠٣٪ من حجم هذا الغلاف . وأهمية بخار الماء ناجمة من تأثيره على التلوث الجوي .

ان معظم التلوث الجوي هو نتيجة مباشرة من نتائج تحويل الانسان للطاقة عن قصد كما أن التعديلات التي يحدثها الانسان في الغلاف الجوي نتيجة التفاعلات الكيماوية المختلفة والمستخدمة في السلم والحرب تؤدي كلها الى التقليل من كمية الاكسجين ونسبته في الجو مما ينعكس ذلك بشكل خطير عل البيئة وما فيها من كائنات نباتية وحيوانية وبشرية .

ومما لا شك فيه أن للتطورات التي جاءت بها التكنولوجيا والتقدم العلمي آثاراً سلبية انعكست على ازدياد ظاهرة التلوث. ويجدر بنا ان نذكر في هذا المقام التحسينات التي أدخلت على وسائل التدفئة والتبريد . واختراع بعض الأجهزة التي أصبحت تعمل على القاء مخلفات المصانع ودخانها وفضلاتها بعيداً عن مناطق التركز البشري وتحول دون تجميع المواد السامة في منطقة محددة . الا أن الخطر أصبح يشمل مناطق بعيدة لم تكن تشعر به من قبل .

على الرغم من أن هذه التحسينات البيئية عدلت الأوضاع داخل المنازل والمصانع بعد أن تخلصت من معظم الملوثات وألقتها في الهواء بعيداً عن مواقعها، الا أن التلوث صار يحدث في الخارج وفي الجو المكشوف. وفي الوقت الحاضر نجد أن جو المدن يختلف اختلافاً كبيراً عن جو الريف، فالأول ملوث غير صحي بينما الثاني أنقى منه. ويطلق على هذه الظاهرة بظاهرة هواء المدن الذي يتميز بارتفاع نسبة ثاني أكسيد الكربون فيه وزيادة نسبة الرطوبة وارتفاع الحرارة. وكلما اقتربنا من المدن نجد تغيراً في المناخ، ونرى كثيراً من الضباب المصحوب بالدخان أو الممزوج به والذي يطلق عليه بالدخان الضبابي أو «الضبخنة — Smog».

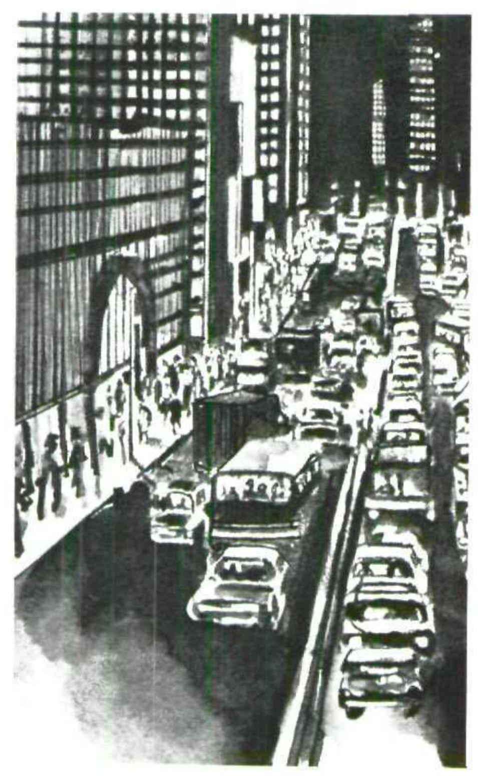
ومن الطبيعي أنه كلما زادت نسبة ثاني أكسيد الكربون في الجو شكل خطورة كبيرة على الانسان وسائر الكائنات فالمفروض أن يكون هناك توازن بين مكونات الهواء الرئيسية التي سبق ذكرها فاذا قلت كمية الأكسجين ونسبته تعرض الانسان للاختناق. والكائنات النباتية تعمل من جانبها على ايجاد توازن بين نسبة كل من الأكسجين والكربون عن طريق التمثيل الضوئي أو الكلورفيلي. وتحتاج عملية تجديد الأكسجين الى ملايين السنين. وهذا يعطينا فكرة مبسطة عن الخطر الناجم من تدخل الانسان في الجو، واخلاله في نسب مكونات الهواء، وهذا التدخل ينجم من تنظيف الانسان لمساحات واسعة من الأراضي وازالة غاباتها ونباتاتها التي تحفظ توازن عناصر الجو كما قلنا. كما أن التفجيرات النووية التي يجريها الانسان في الوقت الحاضر تحدث أضراراً بالغة على الهواء ومركباته بصرف النظر عن أخطارها التي تصيب الماء واليابس.

والتلوث قد يكون مصدره الطبيعة ويتمثل في كل ما تخرجه البراكين من باطن الأرض كالأبخرة والغازات والأتربة التي تصحب الصخور المندفعة وهي في حالة الانصهار. كما يحدث التلوث من ذرات الرمال الدقيقة الناعمة التي تتطاير من الصحراء بفعل حركات الرياح أو من الحرائق الطبيعية التي تحدثها الصواعق أو الزلازل والبراكين وتحرق أشجار الغابات، وتخلف الكثير من الرماد والغاز وكلها قابلة للتطاير مع الرياح وتلويث الجو. ويحدث التلوث أيضاً من لقاح النباتات والأشجار وأزهارها، والتي يعزو لها بعض الأطباء الكثير من أمراض الحساسية.

أما التلوث الذي يسببه الانسان فينشأ من عادم السيارات، وحرق الوقود وتوليد الطاقة أو الحرارة، ومن حرق النفايات والغازات، وما ينتج عن الصناعة وعمليات البناء. ومن الشوارع التي تعلوها الأوساخ والقاذورات. ومن المجاري الصحية المكشوفة التي تعيش عليها الجراثيم الناقلة للأمراض المعدية. وكذلك يحدث التلوث من دخان الطائرات بأنواعها المختلفة وبخاصة النفاثة منها، ومن الغبار الذري المتولد من تفجير القنابل الذرية على اختلاف أشكالها وأحجامها.

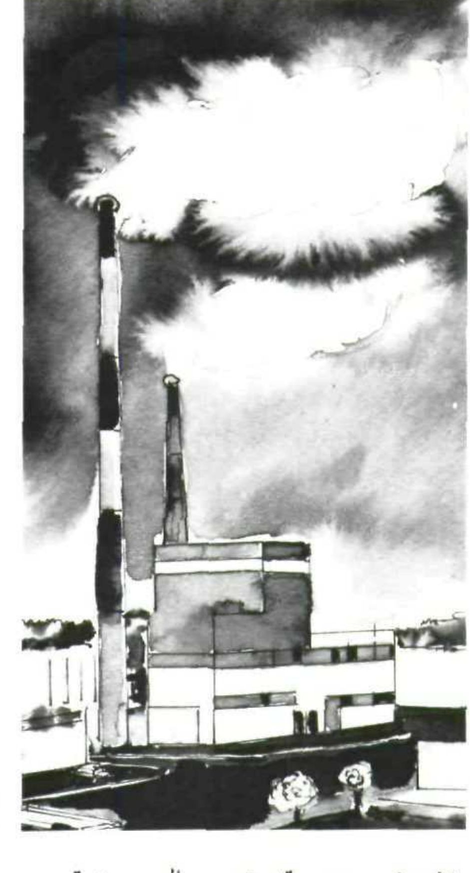
والتلوث ولا شك مظهر من مظاهر أثر الانسان على الطبيعة. وكلما تقدم الانسان في ميادين الابتكار والاختراع زاد معه خطر التلوث الذي أصبح اليوم عاملاً من عوامل الجو الهامة التي بدورها تؤثر في كل من الطقس والمناخ.

ويبدو أن التقويم الاقتصادي لتلوث الجو عامل مهم، يتطلب منا الموازنة بين المزايا والفوائد والتكاليف. فالصناعة



المسببة للتلوث مثلاً — وهذا جانب سيء — ترتبط بفرص العمالة والانتاج وهذا هو بعض مزاياها.

ان أشد الملوثات خطراً هو أكسيد النيتريك. وثاني أكسيد الكبريت وأنواع أخرى كثيرة من الهيدروكربونات وهذه كلها تتفاعل مع الاشعاع الشمسي وينتج عنها مضاعفات خطيرة. وهذه الملوثات مع اختلاف عناصرها ومركباتها تكبد المجتمع تكاليف باهظة ناتجة عن الأضرار التي تصيب البشر وصحتهم.



وتضعف من قدرتهم الجسـدية ، وكفائتهم وانتاجيتهم . كما يؤثر التلوث على المخ وخلاياه ويسبب لها ضرراً بالغاً ، ويتلف الجهاز العصبي مما يجعل الانسان عصبي الطبع حاد المزاج يثور لأتفه الأسباب .

وللتلوث مضار على المزروعات والفواكه ، فهو يؤدي الى فساد معظمها وانخفاض انتاجهـا ، وتدني مستواهـا ونوعها ومذاقها . كما يرفع من كلفة الزراعة بالاكثار مـن استعمال الأسـمدة والمخصبات . ونفس الشيء يمكن أن يقال عن المواشي والدواجن ، فقد تبين بأن التلوث يؤدي الى قلة انتاج الألبان ، ويضعف من قدرة الأبقار والأغنام والماعز على ادرار الحليب ، كما يقصر من أعمارها . وقد ثبت بأن التلوث يؤثر على الدجاج البياض من حيث نوع الانتاج وكميته .

ويسبب التلوث تأكسد المعادن ، وهو الذي نطلق عليه ظاهرة الصدأ ، وهي مكلفة للغاية من الناحية الاقتصادية . هذا وان كثيراً من الاخطار الكبرى التي يتعرض لها المسافرون في الجو تكون ناجمة عن التلوث لأنه يتفاعل مع بخار الماء وذراته العالقة في الجو فيشكل طبقة من الغيوم تحجب الرؤيا . وهو فوق هذا وذاك يخفي جمال الطبيعة ويلفها بغطاء من السحب الداكنة ، وهذا يظهر بوضوح في بعض الأقاليم الصناعية في أوروبا مثل الاقليـم الممتد ما بين مدينتي « برمنجهام » و « كوفنتري » في انكلترا .

وقد حاولت بعض الأقطـار تخفيف أخطار التلوث عن طريق الاكثار في تشجير الشـوارع الرئيسية والفرعية عند تقاطع الطرق في الميادين والساحات العامة . ولا شك في أن عملية التشجير هذه تلعب دوراً مهماً في حجب الغازات مثل غاز ثاني أكسيد الكربون ، وتقليل كمية تركيز أول أكسيد الكربون . فوق هذا وذاك فان الأشجار تكسب الجو جمالاً ، وتبعث في النفس راحة وشعوراً بالانشراح والبهجة. لذلك ينبغي أن يتعاون الجميع على غرس الأشجار والحفاظ عليها وعدم اتلافها أو قطعها . ولكن علينا اختيار أنواع النباتات والأشجار التي تلائم البيئة والتي لا تنشر لقاحاً يساعد على التلوث ، ويساعد على انتشار أمراض الحساسية . وقد ثبت أن أفضل الأشجار التي تناسب البيئـة الصحراوية النخيـل وبعض الأنـواع الأخرى مثل الكافور .

وتركز الدول في الوقت الحاضر على محاربة الغازات السامة التي تلوث الجو مثل غاز ثاني أكسيد الكربون الذي ينتج بالدرجة الاولى من حرق المـواد والنفايات التي هي من أصل عضوي . وبناء عليه فان من الطبيعي أن يوجد هذا الغاز بكميات كبيرة . وقد تعود الانسان على تحمله بنسب متفاوتة . ومن خصائص غاز ثاني أكسيد الكربون أنه يظل عالقاً في الجو وفي حالته الغازية بعكس بخار الماء الذي ينفصل عن الغلاف الجوي ويترسب ويعود ثانيـة الى البحـار والمحيطات ليكمل الـدورة كما نعلم .



ولا شك في أن قذف كميات كبيرة من غاز ثاني أكسيد الكربون بواسطة الاحتراق للمواد العضوية يزيد من نسبة تركيزه ، وهذا يؤثر تأثيراً سيئاً على جميع الكائنات الحية وكما أن لهذا الغاز آثاراً أخرى هامة ، فمن المعلوم أن له علاقة وثيقة بميكانيكية الجو وحفظ درجة حرارة الأرض وارتفاعها وانخفاضها. وعلى الرغم من أن هناك عوامل كثيرة تدخل في الصورة العامة وتؤثر على مستوى توازن الحرارة الجوية فان استمرار زيادة ثاني أكسيد الكربون في الجو ولفترة طويلة تؤدي الى تغير شامل في مناخ الكرة الارضية . ومثل هذا التغير من شأنه أن يحدث زيادة في حرارة الأرض وجوها ، وهذا يسبب ذوبان قسم كبير من الطبقات الجليدية في القطب الشمالي والقطب الجنوبي وتغطي مساحات واسعة من الجهات الباردة في الكرة الأرضية .

ان ذوبان هذه الطبقات الجليدية وتحولها الى ماء له نتائج في غاية الخطورة . ويرى العلماء أنه لو قدر للماء المتراكم على شكل طبقات جليدية فوق قارة القطب الجنوبي وجزيرة جرينلند أن يذوب ويعود الى المحيط ، فان سطح الماء في الكرة الارضية سيرتفع نحو خمسين متراً عن معدله الحالي ، ولذلك فان أجزاء كثيرة من السهول الشاطئية المنخفضة ستغرق ، وسيصبح كثير من المدن الساحلية تحت مستوى الماء . وقد يتعدى طغيان البحار والمحيطات الى ما هو أكثر من ذلك فتصبح مدناً مثل نيويورك ولندن ، وباريس مدناً غارقة تحت سطح مياه البحار .

وقد حدث في الماضي البعيد ، أي قبل نحو عشرة آلاف سنة أن ارتفع مستوى سطح البحر ، فطمر الكثير من الوديان النهرية والسواحل البحرية ، وصحب ذلك فيضانات وطوفان تسبب في حدوث كوارث ونكبات جاء ذكر بعضها في الكتب المقدسة . ويرى بعض العلماء بأن مستوى البحر في الوقت الحاضر ارتفع حوالي عشرة أقدام في خلال الستة آلاف سنة الماضية ، وهذا يعني أن تهديد الطوفان وغزو البحر لليابس لا يزال قائماً .

واذا كان الاحتراق الكامل للوقود الكربوني يولد ثاني أكسيد الكربون . فان الحرق غير التام ينتج عنه غاز أول أكسيد الكربون . وهذا يتم لدى تحويل الطاقة الى أشكال متعددة مثل تحويل « اللبد النباتي — Peat » الى فحم ، وهكذا .

وهناك العديد من الصناعات التي تسهم في تعكير صفاء الجو فتقذف فيه قدراً كبيراً من الذرات مثل صناعة المعادن وتنقيتها ، والأسمدة ، وتخزين الغلال وطحن الحبوب وما الى ذلك .

والى جانب ذلك يوجد في جو المدن قدر كبير من المواد المتطايرة في الهواء وتظل عالقة به ، ولذلك تسمى بالمواد العالقة ، وتتألف من النفايات التي تلقى في الشوارع وعلى الأرض ، وهي تتفتت ببطء نتيجة ارتطامها بالأرض وما عليها من حجارة ومباني ، ثم يحملها الهواء لخفة وزنها وتظل عالقة به . وهذه المواد العالقة تشمل أيضاً مختلف أنواع الورق وبقايا النباتات ، وذرات الزجاج المهشم وبقايا المطاط واطارات السيارات وكل هذه الأشياء تسهم في صنع هذا الخليط المركب من الذرات والمواد الدقيقة العالقة أو السابحة في أجواء المدن .

وهناك أيضاً نوعان من المواد الدقيقة الأخرى ذات آثار ونتائج خطيرة على البيئة والأنسان استقطبت اهتمام العلماء والباحثين . وأول هذه المواد هي ما يطلق عليها بالسموم الاقتصادية التي تشمل المبيدات الحشرية وغيرها من المواد الكيماوية التي يستعملها الانسان في مكافحة الآفات الزراعية والحشرات التي تفتك بالحاصلات والغلات الزراعية مثل دودة القطن أو ذبابة البحر

المتوسط التي تصيب أشجار البرتقال وأثماره بالتلف .

ان ضرر هذه المبيدات الحشرية كبير لأن قسماً كبيراً يتطاير في الجو ويصل مفعولها الى مناطق بعيدة . وهي على العموم مواد سامة تضر بالانسان وبخاصة اذا زاد تركيزها في الجو وتعدى نطاق مفعولها حدود مناطقها .



أما النوع الثاني من المواد الدقيقة العالقة في الجو فهي من النوع المشع ، ويطلق عليها بالمواد المشعة . وهناك ثلاثة مصادر رئيسية للغازات والمواد المشعة في الجو منها ما يتسرب من مركز الأبحاث العلمية . ولكن هذا لا يعتبر مصدراً مهماً للتلوث اللهم الا اذا حدثت أخطاء غير متعمدة أو حوادث عرضية في أحد مختبرات أو معامل الأبحاث العلمية .

أما المصدر الثاني للمواد والغازات المشعة فهو المصانع التي تعمل بالطاقة النووية ، وهي تطلق باستمرار مواد مشعة. ولكن ليست لدينا اثباتات مؤكدة في الوقت الحاضر تبين لنا بأن تراكمها في الجو يشكل أخطاراً رئيسية ، ولكن ربما تشكل في المستقبل خطراً واضحاً اذا انتشرت هذه المصانع في مختلف انحاء الأرض نظراً للحاجة المتزايدة للطاقة المستخدمة في كل مرافق الحياة .

وبما أن المواد والغازات المشعة شديدة الخطر ، وتظل في الجو مدداً طويلة جداً ، فقد وضعت الاحتياطات الكثيرة لمنع تسرب قسم منها الى الجو ، ولذلك يقال بأن صناعة الطاقة النووية واحدة من أكثر الصناعات رقابة وتحكماً على وجه الأرض .

أما المصدر الثالث للمواد والغازات المشعة فهو الأسلحة النووية ، وهذه تتحكم فيها اعتبارات استراتيجية واقتصادية خاصة .

وللطبيعة قدرة على امتصاص بعض الغازات الضارة فثاني أكسيد الكربون يمكن ازالته من الجو بالاذابة المباشرة في البحار والمحيطات . ولا شك في أن قدرة المحيطات والبحار على امتصاص الغازات القابلة للذوبان كبيرة ، ولكن قذف كميات كبيرة من غاز ثاني أكسيد الكربون في الجو نتيجة نشاطات الانسان المتعددة وتزايدها تفوق غالباً قدرة المحيط على ازالته من الجو . وقد أثبتت الأبحاث العديدة بأن نحو ثلث كمية ثاني أكسيد الكربون المنبعث في الجو من احتراق المواد الهيدروكربونية يبقى عالقاً في الهواء مما قد يكون له تأثير على دورة المناخ العامة .

مما سبق ندرك بأن للجو قدرة على اذابة وتوزيع الأنواع الكثيرة من المواد العالقة بالجو والتي يقذفها الانسان في الهواء عن طريق نشاطاته ، كما أن الطبيعة لها قدرة على التخلص من الملوثات في بعض الأحيان. ولكن الطبيعة في الوقت ا لحاضر أصبحت عاجزة عن التخلص من الملوثات وتنظيف الجو لأن كمية ما يقذف منها يفوق قدرة الطبيعة على طردها أو التخلص منها، وهذا الوضع يتطلب من الانسان أن يقوم بدور ايجابي لمكافحة التلوث فالانسان أكثر الكائنات حساسية لظاهرة التلوث . ويمكننا القول بأن التلوث من أخطر ما يواجه الانسان من مشاكل على سطح الأرض ، ولذلك ينبغي العمل على كافة الأصعدة والمستويات لوضع حد لهذه المشكلة الخطيرة التي باتت تهدد حياة الانسان ●

د . محمد علي الفرا – جامعة الكويت

كتب مهداة

حظيت مكتبة « القافلة » مؤخراً بطائفة من المؤلفات الأدبية والثقافية من بينها :

● « همسات العريف » الذي أهداه لها معدّه وجامعه الأستاذ زهير محمد جميل كتبي . وقد صدّر المؤلف كتابه باهداء قال فيه « الى بني وطني وشبابه الناشيء المدججين بسلاح العلم والايمان في الحاضر والمستقبل . . اليكم ميزاناً يحتوي على أفكار وتجارب وحكم من خبرات الشباب وحنكة الشيوخ ذوي الحكمة ممن صقلتهم الحياة وخضرمتهم الأيام . . اليكم همسات العريف » .

يلي ذلك تقديم وتعريف بالكاتب موضوع البحث اعدّه الأستاذ أحمد محمد جمال الذي رافق العريف في مسيرته الصحفية والأدبية وعمل معه سكرتيراً لتحرير صحيفة « البلاد السعودية » التي كانت تسمى سابقاً « صوت الحجاز » والتي تولى المرحوم عبدالله عريف ادارتها ورئاسة تحريرها .

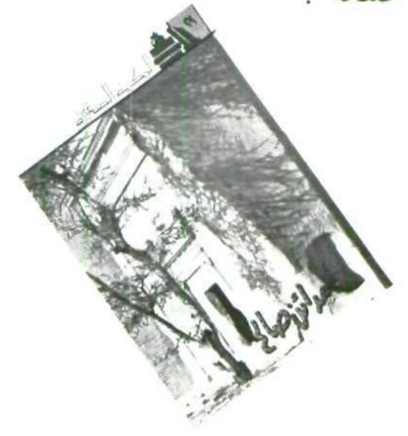
وقد عرّف الأستاذ أحمد محمد جمال بزميله وأستاذه عبدالله عريف وعرض في هذا التقديم نشاطات المرحوم العريف الصحفية عبر همساته في صحيفة « البلاد السعودية » ثم توليه أمانة عاصمة المملكة آنذاك « مكة المكرمة » حيث أن كاتب التعريف كان عضواً في المجلس البلدي آنذاك .

وأعقب هذا التقديم مقدمة للمؤلف أبدى فيها اعجابه بالفقيد المرحوم عبدالله عريف وبين ثناياها يقول المؤلف « وفي الحقيقة انني كنت معجباً بشخصية عبدالله عريف « امين العاصمة » وعبدالله عريف الرجل « الصحافي » ولكنني وفي الحقيقة لم أكن أظهر هذا الاعجاب لشخصيته الفذة وان كنت أبديه للمقربين له . . » كما عرض المؤلف لسيرة المرحوم العريف الشخصية وكيف أنه كان مثالاً للرجل المخلص لمبادئه ، وفيه يقول « لقد كان المرحوم رجلاً في تعامله مع زملائه وأصدقائه وأهله وموظفيه ومراجعيه . . . »

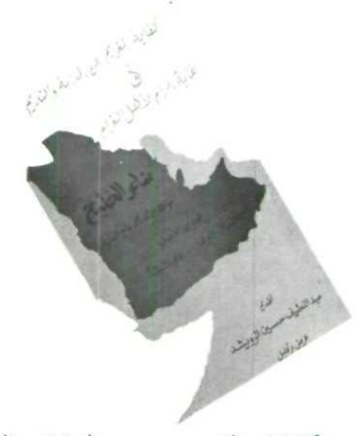
يلي هذه المقدمة تقديم آخر أعده الاستاذ امين خضير مدرس الادب العربي بالكلية المتوسطة بمكة المكرمة حيث تحدث عن مؤلف الكتاب وابدى اعجابه بهذه الهمسات . ثم جاء تحت عنوان « كلمة ورأي » كلمة أعدها نجل المرحوم العريف بطلب من مؤلف الكتاب . أما متن الكتاب فقد تصدرته نبذة عن حياة المرحوم عبدالله عريف . ثم تعريف باسلوبه الكتابي ثم جاءت الهمسات متتابعة . .

وهمسات العريف هي همسات صحفية ناقدة تتناول الظواهر السلبية في المجتمع بنظر ثاقب وتعمد الى تحليل آثارها على المجتمع كما تطرح الحلول الكفيلة بمعالجتها بأسلوب قد يمتاز بالخطابية المباشرة التي تصل حد المطالبة الصريحة فنراه مثلاً في هذه الهمسة يقول « انني ادعو الى نشر وتنمية المبادىء والقيم والمثل الدينية لمجتمعنا . . لندفع بالمواطن شعورياً الى أداء واجبه تحت الاحساس بالمسؤولية الدينية أمام الله . . » . وعلى هذا المنوال يجري العريف في معظم همساته .

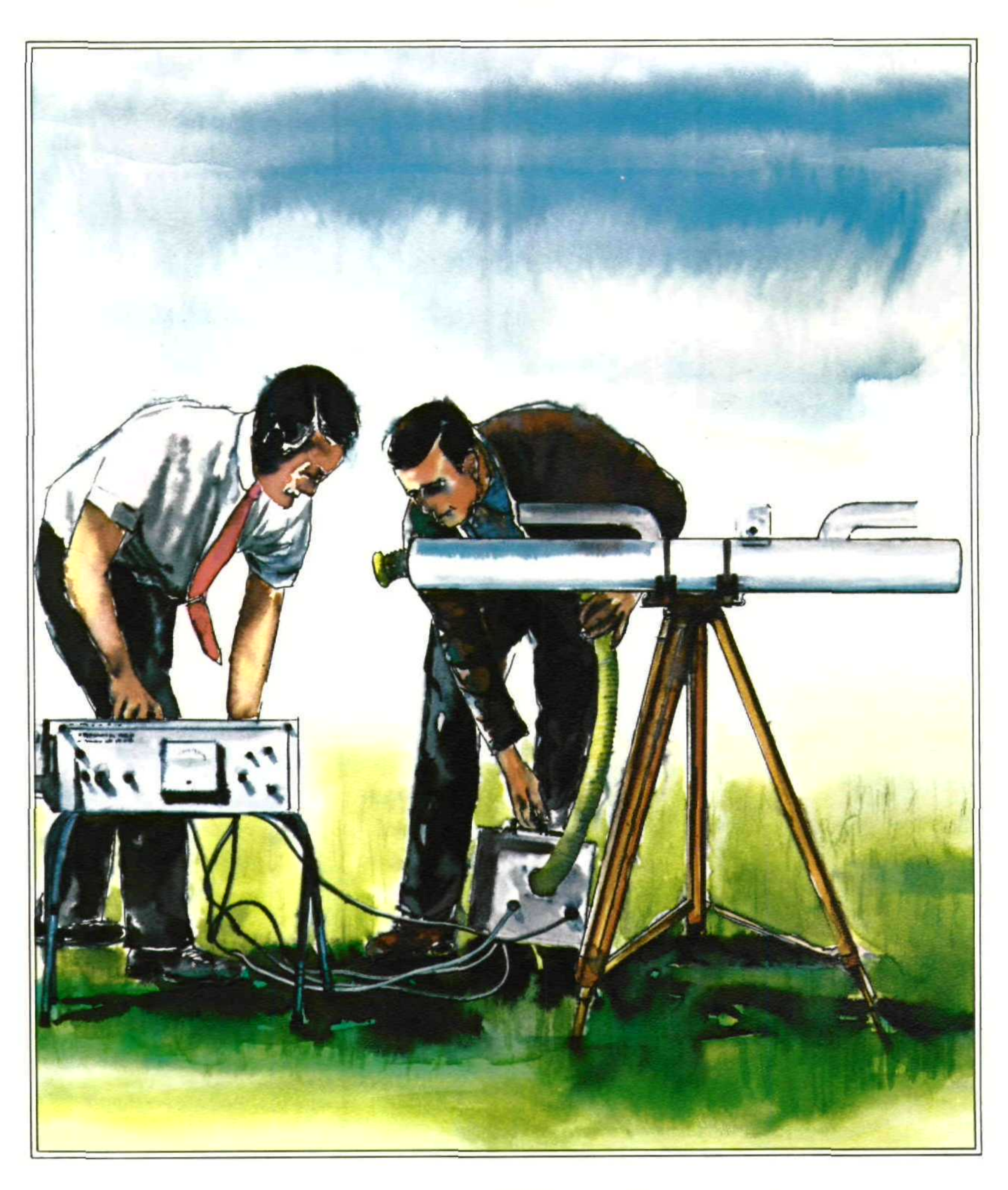
بقي أن نعرف أن الكتاب صدر أخيراً عن دار الفنون للطباعة والنشر والتغليف بجدة ، وقد بذل مؤلفه جهداً واضحاً في اعداده وجمعه ، بالاضافة الى أنه صمم له غلافاً جذاباً وتمت طباعته على ورق صقيل يتناسب ومنزلة المرحوم عبدالله عريف الأدبية والصحافية في مائتي صفحة .



● ضمن اصدارات « المكتبة الصغيرة » لصاحبها الاستاذ عبد العزيز الرفاعي ، صدر الكتاب التاسع والعشرون من هذه السلسلة بعنوان « مدائن صالح » لمؤلفه الاستاذ محمد عبد الحميد مرداد ، وقد عرض المؤلف في كتابه دراسات تاريخية وأدبية وجغرافية لمدائن صالح مدعمة بالصور والخرائط ، كما ضمنها معجماً مضبوطاً لأسماء المدائن مع نبذة جغرافية وتاريخية عن كل منها .



● « كفاية الغريم عن المدامة والنديم وغاية المرام لأهل الغرام » لشاعر الخليج مبارك ابن حمد آل مانع العقيلي . وقد صدر الكتاب بتقدمة بقلم الأستاذ عبداللطيف حسين الرويشد وبتحليل موجز بقلم الاستاذ يوسف عثمان العزوني . ويحوي هذا الكتاب الذي يقع في ١٥٠ صفحة انماطاً مختلفة من الشعر النبطي المخطوط في دول الخليج والجزيرة العربية . وهو يعتبر أحد مخطوطات التراث عن أهل الخليج ..



اثنان من علماء البيئة يجريان اختبارًا لمعرفة نسبة التلوث في الهواء.



رسم تخيّله الفنان لمراحل تعدين الفحم الحجري
راجع مقال "الفحم الحجري"